منتديات الفلوجة الإسلامية

الابتلاء

وعوامل الثبات

إعداد
مكتب الدراسات والتحقيق
بدار طيبة للنشر والتوزيع

دار طيبة للنشر والتوزيع

منتديات الفلوجة الإسلامية

الابتلاء وعوامل الثبات

إعداد

مكتب الدراسات والتحقيق بالدار

دار طيبة للنشر والتوزيع

ح دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
دار طيبة للنشر والتوزيع، مكتب الدراسات والتحقيق
الابتلاء وعوامل الثبات. - الرياض.
١٢٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣-٠٠-٨٩١-٩٩٦٠
١- الصبر
٢- الوعظ والإرشاد
أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ٢٣/٤٠٢٤

رقم الإيداع: ٢٣/٤٠٢٤
ردمك: ٣-٠٠-٨٩١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص. ب ٧٦١٢ الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ فاكس ٤٢٥٨٢٧٧

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، أما بعد:

فإن من الزاد الذي لا يستغني عنه الداعية العلم بما يتعلق بأسباب الابتلاء وعوامل الثبات؛ وذلك لعدة أسباب منها:

١- "أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة"[(١)].

و "أن الابتلاء سنة إلهية جارية على حملة الدعوات منذ فجر التاريخ، ولا بد أن يدرك الدعاة أن طريق النصر وحسن العاقبة يمر بالابتلاء والمحن والشدائد، والنصر الرخيص لا يجيء، وإن جاء لا يدوم"[(٢)]، وشجرة الإسلام لا تنمو إلا في تربة البلاء.

٢- وما دام الأمر كما مضى، فإن الإنسان لا يدري متى ينزل به البلاء والامتحان والفتنة، فصار لزامًا أن يكون الإنسان دومًا على أهبة الاستعداد مستعينًا بالله تعالى.

٣- عدم الثبات في مواجهة البلاء سبب قوي للنكوص عن دين الله - والعياذ بالله - وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢١٩).

(٢) «من وسائل دفع الغربة»: (٢٠٩).

لا سبيل إلى سدِّه إلا بالعلم الراسخ بالأدلة الشرعية وكلام السلف الصالح وآثارهم في هذا الباب، والاستعانة الصادقة بالله - عز وجل - والإخلاص له.

٤- إن ما يراه المرء كل يوم من تعرُّض إخوانه في بقاع العالم للابتلاء بشتى صنوفه، ويرى منهم الثابت ومنهم المتخاذل، يجعله حريصًا على الاستعداد لمثل هذا الموقف، ولعل الحديث عن هذا الموضوع يعين على الثبات.

٥- كلنا يتمنى أن لا يكون ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[2].

٦- لا سبيل إلى تربية النفس على مواجهة الابتلاء والفتنة والصبر عليها إلا بدراسة هذا الباب، وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[3].

ولا بد من التوازن في طرح هذا الموضوع، وفي فهمه ومناقشته

---

(١) سورة الحج: الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٣) متفق عليه: البخاري ح (٣٦٠٦)، مسلم ح (١٨٤٧).

منتديات الفلوجة الإسلامية

كذلك. وقد جعلنا الله أمة وسطًا بين الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[1].

فلا يلزم من ذكر الابتلاء وفوائده ومنزلة أهله؛ لا يلزم من ذلك أن يتمنى الإنسان حصول البلاء. عن عبدالله بن أبي أوفي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ...)**[2].

كما لا يلزم من التركيز على أحد عوامل الثبات إهمال بقية العوامل أو أحدها.

وكذلك فإن العوامل المذكورة ليست إلا محاولة للجمع، وإلا فكل إنسان أدرى بحاله، وقد يكون لأحد العوامل أثر في نفس إنسان ما ليس لغيره مثله.

ومما يخل بالتوازن أن يحسن الإنسان الظن بنفسه كثيراً، ويعتقد أنه سيكون من الصابرين إذا نزل به البلاء؛ لأن من لم يذق طعم الابتلاء لا يعرف قدره. وقبل هذا كله وبعده فقد يكون المرء مبتلىً وهو لا يدري.

ومثله أن يظن الإنسان أن الحديث في بعض النقاط موجه إلى غيره، وأنه غير مقصر في ناحية من النواحي، والصواب الذي ينبغي أن يتربى عليه المسلم أن يضع نفسه موضع التهم في مجال الوعظ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، ح (٢٩٦٦)، ومسلم، ح (١٧٤٢) واللفظ له.

أنوع الابتلاء

تمهيـد:

أنواع الابتلاء كثيرة، وهي تختلف بحسب الأشخاص والأزمان والبلدان. وذكرنا لها هنا لا يعدو كونها أمثلة وليس المراد الحصر.

وبالنظر إلى أنواع الابتلاء فإنه من الممكن تقسيمها إلى عدة أنواع لاعتبارات شتى؛ فمثلاً يمكن تقسيمها:

أ - باعتبـار دواعيـه:

فابتلاء للصبر، وابتلاء للشكر، وابتلاء للأجر، وابتلاء للتوجيه، وابتلاء للتأديب، وابتلاء للتمحيص، وابتلاء للتقديم، . . . إلخ.

ب - باعتبـار موضوعـه:

فقد يكون الابتلاء في الدين وقد يكون في أمور الدنيا. وكذلك يكون بالسراء ويكون بالضراء.

ج - باعتبـار أفـراده:

وهو واسع جداً ويدخل فيه النوعان السابقان، وهو الذي سنجري عليه في بحثنا هذا، ومن أمثلته الابتلاء بالتعذيب أو القتل أو الطرد أو الإغراء . . . إلخ.

والخلاصة: إن أنواع الابتلاء لا حصر لها، وإن صوره قد تتغير لعوامل كثيرة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ومن أبرز هذه الأنواع والصور:

١- التخويف:

وهو الصورة الأولية للابتلاء والفتنة. والخوف يكون نتيجة لتوقع حدوث مكروه، وقد يكون المكروه نفسه أهون وأيسر على النفس من الترقب والتخوف.

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأن رفع الخوف عنهم فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[١].

وقد سمى الله سبحانه وتعالى الخوف ابتلاءً فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾[٢]، وقال: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾[٣].

وهذا النوع من الابتلاء قد وقع لنبي الله موسى؛ قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[٥].

ووقع لنبي الله يوسف عليه السلام لما ألقي في البئر، ولما أودع السجن.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٣) سورة يونس: الآية ٨٣.

(٤) سورة القصص: الآية ١٨.

(٥) سورة القصص: الآية ٢١.

ووقع لنبي الله يونس عليه السلام، لما التقمه الحوت.

ووقع لنبينا محمد ﷺ في مواضع كثيرة من سيرته المليئة بنماذج الابتلاء، وقال ﷺ: «**لقد أُخفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ...**» الحديث[1]، ومن مواضع ابتلائه ﷺ بالخوف:

- **في هجرته** ﷺ قال تعالى: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[2].

- **في غزوة بدر** وقبل التحام الصفين كان يقول ﷺ: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وقال له أبو بكر: «**يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك**»[3].

- **في غزوة الأحزاب**: عندما تحزبت الأحزاب وعصفت الرياح واشتد البرد، ونقضت بنو قريظة العهد، ولم يكن أحد يأمن على نفسه في قضاء حاجته. وقد قال الله واصفًا حال المؤمنين - ومعهم رسول الله ﷺ -: ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾[4].

وصور التخويف كثيرة؛ فمنها التهديد بالفصل عن العمل، أو بإيذاء بعض الصالحين، أو التشديد من النواحي الأمنية، أو إلقاء الرعب في القلوب إلى غير ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/٢٨٦)، والترمذي، كتاب صفة القيامة: (ح ٢٥٩٠)، وقال: حسن صحيح.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح (١٧٦٣).

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١١.

٢- السجن:

هذا النوع من الابتلاء قد مارسه كثير من أعداء الحق، وقد ابتلى الله به جمعًا غفيرًا من أتباع الرسل، وقد أخبرنا الله سبحانه أن نبيه يوسف عليه السلام لبث في السجن بضع سنين، والتاريخ يحكي لنا خبر كثير من السلف كان لهم حظٌ وافر في هذا الباب، وما سيرة أحمد بن حنبل وابن تيمية إلا نماذج، ونماذج العصر الحاضر فوق الحصر.

السجن بحد ذاته - ناهيك أن يكون معه تعذيب بدني بالضرب أو الإيذاء، أو نفسي بحرمان أداء العبادة - هو بحد ذاته بلاءٌ عظيم، واسأل إذا شئت من له تجربة يحدثك عن شدة وطأة هذا النوع من الابتلاء.

نعم لك أن تتخيل أنه لم يكن عندك سيارة لعدة أيام، إنك ستشعر بالضيق والحرج وكأنك حرمت شيئًا كثيرًا، وأنت بين أهلك وأولادك، بل قد لا يكون لك حاجة تريد قضاءها بتلك السيارة، وما إن تتوفر السيارة حتى تنفرج عنك تلك الغمة، ولو لم تستعملها وتركتها عند باب الدار. ذلك هو الشعور بالحرمان.

فما بالك بالسجين - وخاصة ما يسمى بالسجين السياسي - الذي يحرم لقاء الإخوان والأهل، ويحرم أحيانًا أداء العبادة على الوجه الأكمل، بل ويحرم أن يستنشق هواءً نقياً. إنه الابتلاء.

أجل تخيل السجين في زنزانته التي تضيق بظله؛ ليس له جليس

إلا الظلام والسكون، حتى أنه يسمع أصواتًا ما هي بأصوات، ويرى أشياءً ما هي بأشياء، لا يدري ما ليل ولا نهار، لا يدري ما حال الناس. الأيام تمر عليه كل يوم مثل الذي قبله، لا جديد، بل كل ساعة ودقيقة مثل أختها، ومع مرور الزمن تصبح الثواني دهوراً.

وقاصمة الظهر - والظهر مقصوم قبل بالسوط - إذا تذكر أنه لم يمض من المدة المحدودة إلا ربعها أو خمسها أو عشرها، والأدهى من ذلك إذا لم يكن هنالك أجل؛ والأمرُّ إذا لم يدر السجين فيم سُجِن. أجل إنه ابتلاء شاق تخور أمامه قوى رجال كثر، وإن زعموا في حال الرخاء أنهم قادرون على الصبر والثبات إلا من عصم الله.

ومما يدل على شدة السجن على النفوس ما نراه من ثبات البعض أمام هذا الابتلاء، ولكن مع طول الوقت يتسلل إلى النفس الحديث بالانهزام، لاسيما إذا شعر الإنسان أن الناس قد نسوه، ومع هذا فلا تزال طائفة من أهل الحق لا يزيدهم الابتلاء والسجن إلا ثباتًا على الحق، وجرأة على الباطل وأهله، والله يختص برحمته من يشاء. نسأل الله أن نكون منهم.

٣- التعذيب والابتلاء:

ومنهما لقي النبي ﷺ وصحابته الكرام الشيء الكبير، «فأما ذوو المكانة فمنعهم الله بقومهم كما منع رسول الله ﷺ بأبي طالب، وأما سائر المؤمنين فقد تفننت قريش في تعذيبهم، وكشرت عن أنياب

الغيظ والحقد، وسلطت عليهم من سياط العذاب ما لو سُلِّط على جبل لارفضّ وتفتت»[١].

ومع «امتناع الرسول ﷺ بأبي طالب وامتناع أبي بكر بقومه وكذلك سائر المؤمنين من بيوتات مكة الرفيعة - كانت تمنعهم مكانتهم ومكانة قومهم من كثير مما يقع لغيرهم من الضرب، والتنكيل - لكن يخلص إليهم من ألوان الأذية الحسية، والمعنوية الشيء الكبير»[٢].

ومن صور ذلك قصة وضع سلا الجزور بين كتفيه عليه الصلاة والسلام[٣].

وأما المستضعفون فقد حكى لنا ابن مسعود ما جرى لهم وأنهم أخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس[٤]، ومن هؤلاء: ياسر وسمية وعمار وبلال وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد روى لنا خباب بن الأرت رضي الله عنه حديثًا عظيمًا في هذا الباب، سيمر معنا في أكثر من موضع بإذن الله تعالى، وذلك لما احتواه من الحكم والآداب والفوائد، ونحن هنا نعرض إلى طرف من ذلك. فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن خباب رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردته في ظل الكعبة، وقد لقينا

---

(١) «الغرباء الأولون»: (١٣٤-١٣٦).

(٢) «الغرباء الأولون»: (١٣٤-١٣٦).

(٣) متفق عليها: انظر البخاري، ح (٢٤٠)، ومسلم، ح (١٧٩٤).

(٤) أخرج قصتهم ابن ماجة، المقدمة، ح (١٥٠)، وأحمد: (١/ ٤٠٤).

من المشركين عنتًا وشدة، فقلت: ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط من الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله**» زاد بيان «**والذئب على غنمه**»[(١)].

إذًا لقد أصاب المسلمين في الصدر الأول بلاءٌ عظيم، وهو ما نستشفه من أسلوب الطلب الذي توجه به خباب إلى الرسول ﷺ «ألا تدعو الله؟».

وليس هذا النوع من البلاء - أي التعذيب والابتلاء - مما اختصت به هذه الأمة، لا، بل وقع كذلك للأمم السابقة حتى يصدها أهل الباطل عن دين الله. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[(٢)].

وعلى هذا الطريق جلد سعيد بن المسيب وأحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم من الدعاة والمصلحين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «مناقب الأنصار»، باب ما لقي ﷺ وأصحابه من الأذى، الفتح: (٧/ ٢٠٢)، ح (٣٨٥٢).

(٢) متفق عليه: البخاري، ح (٣٤٧٧)، ومسلم، ح (١٧٩٢).

ويحسن هنا أن نذكر كلامًا لسيد قطب - رحمه الله - يقول فيه: (ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان، وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة، فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أدهى وأمر)[1]، ولكلامه رحمه الله بقية، وسيأتي - بإذن الله - في مواضعه المناسبة.

٤- النفي والتشريد:

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الملأ في الأمم السابقة هددوا رسلهم بهذا النوع من الابتلاء؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

وقوله تعالى عن تهديد قوم لوط لنبيهم: ﴿**قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ**﴾[3].

وقد لقي نبينا ﷺ حظًا وافرًا من النفي والتشريد والطرد؛ يشهد لذلك قصة خروجه إلى الطائف وقصة هجرته إلى المدينة.

وقد قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ أول ما أنزل عليه الوحي:

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٢٠).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١٣.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٦٧.

«ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي»[١]. وفعلاً كان الأمر كما قال وأخرج النبي ﷺ من مكة.

وصحابته كذلك خرجوا أول الأمر إلى الحبشة ثم إلى المدينة تاركين أهلهم وأموالهم في مكة.

أما أيامنا هذه فمليئة بالنماذج التي فرت بدينها من بلاد المسلمين إلى بلاد الكافرين، لا شيء إلا لتسلط أهل الباطل من بني جلدتنا على عباد الله، حتى أصبح الكفار أكثر عدلاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكم من مسلم اليوم قد حرم من دخول بلده المسلم، وكم من مصلح طرد خارج البلاد ليبحث عن مأوى في مكان آخر.

٥- القتـل:

وبهذا النوع وقع الابتلاء لجمع من الأمم السابقة ومن سلف الأمة الصالح؛ فقد قُتِلَ من أنبياء الله زكريا، ويحيى، وقتل أصحابُ الرسِ رسولهم، وما أن دخل السحرة في دين هارون وموسى إلا وأعمل فيهم فرعون قتلاً وصلبًا.

وفي سبيل الله قتل عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ومثلهم شهداء الإسلام منذ فجر الدعوة وحتى يومنا هذا.

ولسائل أن يسأل: كيف يكون الإنسان على الحق ويبتليه الله بالقتل

---

(١) البخاري، كتاب بدء الوحي، الفتح: (١/ ٣١)، ح (٤).

قبل أن يمكن له في الأرض؟

والجواب: هذه حكمة الله، وحكمة الله بالغة، فليس مقياس سلامة الطريق والمنهج أن يمكن الإنسان أو لا يمكن، لا بل يكون في كثير من الأحيان مصالح عظيمة من قتل أحد دعاة الإسلام أعظم من بقائه؛ ذلك:

- أنه يتأثر بقتل الداعية وهو على الحق جمع غفير ممن لم ترسخ أقدامهم على الحق بعد، لما يرون من صبره وبلائه، وعندها يوقنون أن ما عنده حق وإلا لما صبر كل هذا الصبر. وخير شاهد على ذلك قصة الغلام والساحر، حيث أسلمت القرية كلها لما ضحى الغلام بنفسه فكان ذلك إثباتًا للناس أن ما دعاهم إليه هو الحق، وفعلاً صبروا على الموت مثله.
- أنه إن لم يقتل وأبقي في السجن، فإن طول الزمن قد يثنيه عن شيء من الحق فلا يكون خيرًا له.
- أن الموت في سبيل الله ثوابه الجنة، والجنة غاية المطلب وهي إحدى الحسنيين وهي حقًا انتصار للمؤمن.

٦- التضييق في الرزق:

وهو أسلوب خبيث يسلكه أعداء الله لابتلاء المصلحين لما له من أثر بالغ من إعاقة العمل وتشتيت الجهود، وقد تواصى المنافقون في المدينة على سلوك هذا الأسلوب الدنيء.

قال تعالى حكايةً عنهم: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ**

رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[١].

وقبلهم قريش لما تعاهدت على الصحيفة الجائرة وتواصت على حصار المسلمين في الشعب حتى أصابهم من جراء ذلك بلاءٌ عظيم.

عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «... ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ...»[٢].

«وسعد بن مالك هو ابن أبي وقاص، والأشبه أن هذه القصة كانت أثناء الحصار في الشعب - والله أعلم - لتقدم إسلامهما»[٣].

ومما يسلكه أعداء الله اليوم: الفصل من الوظائف والأعمال الحكومية، وملاحقة الأعمال التجارية الحرة الخاصة، التي يلجأ إليها الدعاة كي تكون مصدر رزق لهم ومجالاً للإنفاق في سبيل الله ودعم مسيرة الدعوة، حتى إن القوانين والقرارات توضع بدقة حتى تنطبق على مثل هذه الأعمال.

٧- فتنة الأهل والولد:

وهنا نوعان من الفتنة: الإفتتان بهم والإفتتان فيهم، أما الفتنة

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٧.

(٢) مسلم: كتاب الزهد، ح (٢٩٦٧).

(٣) «الغرباء الأولون»: ص (١٤٩).

بالأهل والولد فهي أن يكون حب المرء لهم وحرصه عليهم صادًا له عن سبيل الله لإنهم يأمرونه بذلك على لسان الحال أو المقال، ومن فرط حبه لهم، لا يملك أن يرد لهم طلبًا، نعم هذه هي الفتنة التي حذرنا الله منها، وعدّ الأزواج والأولاد أعداءً لنا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2].

حقًا إنه ابتلاء عظيم وفتنة كبيرة إذا دفع الإنسان حبه لأهله وأولاده أن يتنازل عن الحق، وفي هذا النوع من الفتنة يقول سيد قطب رحمه الله: «هناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعًا، وقد يهتفون به ليسالم أو يستسلم وينادون باسم الحب والقرابة واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى والهلاك»[3].

أما الفتنة في الأهل والولد فهي أن ينالهم الأذى والتعذيب أو القتل والموت أو هتك العرض أمام مرأى ولي أمرهم مغلوبًا على حاله لا يستطيع تقديم أي شيء لهم، وهذا النوع من الابتلاء أيضًا له وقع عظيم على النفس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٤.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٥.

(٣) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٢٠).

تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[١].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»**[٢].

وبهذا النوع من الابتلاء ابتلي كثير من عباد الله؛ فرسول الله ﷺ مات زوجه وعمه في عام واحد وكان لهما فضل عليه، ومات ابنه إبراهيم وابنته رقية وقتل عمه حمزة، وقد نقلت إلينا السير مبلغ تأثره عليه السلام بهذه المصائب، وأبو الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ابتلاه الله بذبح ابنه إسماعيل قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ**﴾[٣].

٨- الابتلاء بالمال:

حصولاً وذهابًا فحصول المال وكثرته ابتلاء، لأن الحرص عليه خوفًا من ذهابه يكون أكثر، ولأن الحق الواجب فيه يكون أيضًا أكثر، وكذلك ذهاب المال بعد حصوله ابتلاء لأنه ذهاب لمحصول جهد طويل ويفضي إلى الافتقار بعد الغنى؛ قال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، ح (٦٤٢٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ح (٢٣٩٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٠٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

منتديات الفلوجة الإسلامية

وكثرة المال في يد قليل الإيمان تجره إلى مخالفات كثيرة منها:

البخل: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1].

جمعه من الحلال والحرام: والبحث عنه كبحث شحيحٍ ضاع في التراب خاتمه.

الانشغال به عن الطاعة: نفسيًا وبدنيًا.

الركون إلى الدنيا: ونسيان الآخرة.

والمال مفسدة للدين أي مفسدة، عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[2].

وقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم علينا من الدنيا أن تهلكنا فقال: «**... فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**»[3].

وهنا تجدر الإشارة أن الإنسان قد يرى في نفسه أنه سيثبت أمام فتنة المال إذا ما حصلت له وأنه سيكون من الشاكرين، لكن الواقع يشهد أن كثيراً من الناس يضعف، وذلك لشدة الفتنة بالمال، وإذا سألت أحدهم عن ذلك قال: ليس المخبر كالمعاين وليس من رأى كمن سمع. نسأل الله الثبات على الحق.

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٧٥، ٧٦.

(٢) رواه أحمد: (٣/ ٤٥٦)، والترمذي، كتاب الزهد، ح (٢٣٧٦)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، ح (٤٠١٥)، مسلم، كتاب الزهد، ح (٢٩٦١).

٩- الابتلاء بالسراء :

هذا النوع من الابتلاء يقع أيضاً في أغلب ما مضى، وما سيأتي من أنواع الابتلاء، وقد سبقت الإشارة إلى هذا؛ فمثلاً: الإعفاء من القتل، والإفراج من السجن، والتوسيع في الرزق، كل هذه أمور سارة لكنها قد تكون في بعض الأحوال نوعًا من أنواع الابتلاء يبتلي بها الله عبده ليرى صدق لجوئه إليه وتمام شكره وثنائه على ربه، وليرى في أي شيء يسخر هذه النعمة، وهل تقوده إلى مزيد من الطاعة، والبذل لدين الله، أو تكون مدعاةً له للركون والقعود.

يقول سيد قطب - رحمه الله - عند الحديث عن قوله الله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ..﴾[1].

(إن الرخاء ابتلاء من الله لعباده وفتنة، ونبلوكم بالخير والشر فتنة. والصبر على الرخاء والقيام بواجب الشكر عليه والإحسان فيه أشق وأنذر من الصبر على الشدة! على عكس ما يلوح للنظرة العجلى. فكثيرون هم الذين يصبرون على الشدة ويتماسكون لها، بحكم ما تثيره في النفس من تجمع ويقظة ومقاومة، ومن ذكر لله والتجاء إليه واستعانة به حين تسقط الأسناد في الشدة فلا يبقى إلا ستره، فأما الرخاء فينسي ويلهي ويرخي الأعضاء وينيم عناصر المقاومة في النفس، ويهيء الفرصة للغرور بالنعمة والاستنامة للشيطان!.

(١) سورة الجن: الآيتان ١٦، ١٧.

إن الابتلاء بالنعمة في حاجة ملحة إلى يقظة دائمة تعصم من الفتنة. نعمة المال والرزق كثيراً ما تقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر مع السرف أو مع البخل، وكلاهما آفة للنفس والحياة .. ونعمة القوة كثيراً ما تقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر مع الطغيان والجور، والتطاول بالقوة على الحق وعلى الناس، والتهجم على حرمات الله .. ونعمة الجمال كثيراً ما تقود إلى فتنة الخيلاء والتيه وتتردى في مدارك الإثم والغواية .. ونعمة الذكاء كثيراً ما تقود إلى فتنة الغرور والاستخفاف بالآخرين وبالقيم والموازين .. وما تكاد تخلو نعمة من فتنة إلا من ذكر الله فعصمه الله)[1].

ولنا أسوة حسنة في نبي الله سليمان عليه السلام في موقفه من نعم الله عليه؛ قال الله تعالى مخبراً عنه: ﴿**قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾[2]، فسمى النعمة ابتلاءً.

(وقد يستطيع الكثيرون تحمل الشدة والصبر عليها، ولكن لا يستطيعون الصبر على هواتف المادة ومغرياتها، وهذا عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول: «**ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر**»[3]. وسر الصبر على الضراء - والله أعلم - أن الشدة تستنفر قوى الإنسان وطاقاته، وتثير فيه الشعور القوي بالتحديات التي تواجهه، وتشعره بالفقر إلى الله تعالى ووجوب

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٦/ ٣٧٣٤).

(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، ح (٢٤٦٤)، وقال: حديث حسن.

التضرع وصدق اللجأ إليه فيهبه الله الصبر، أما السراء فإن الأعصاب معها تكون مسترخيةً في الغالب، والنفس موافقة، وهي تخاطب بعض الغرائز الفطرية من حب الشهوات والنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث فيسترسل الإنسان معها شيئًا فشيئًا دون أن يشعر بأن هذا ينافي الصبر أو يدرك أنه واقع في فتنة)[١].

والله سبحانه وتعالى سمى السراء والنعماء ابتلاءً؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[٢].

١٠- التشويه الإعلامي:

وهو أسلوب سلكه الأقدمون في حربهم مع الأنبياء حين عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة. وقد ابتلى الله الأنبياء وأتباعهم بهذا. ومن أمثلة ذلك:

(أ) اتهامهم بأنهم يسعون إلى الحكم والسلطة: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ...﴾[٤].

(ب) اتهامهم بالإفساد في الأرض والتخريب: قال تعالى: ﴿إِنِّي

---

(١) «وسائل دفع الغربة»: ص(٢٢٠) والتي بعدها.

(٢) سورة الفجر: الآية ١٥.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٢٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٧٨.

أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[1].

(جـ) **اتهامهم بالجنون وقلة العقل والدروشة**، وأحيانًا اتهامهم بالسحر والكهانة، وكثيراً اتهامهم بالكذب، وقد نال النبي ﷺ من هذا الشي الكثير.

ومن أمثلة التشويه الإعلامي في الوقت الحاضر:

إلصاق التهم بالمصلحين فيما يتعلق بالجرائم التي تحصل في المجتمع؛ فأول من تتجه الأنظار إليهم وتشير الأصابع نحوهم عند وقوع أي جريمة، هم الإسلاميون، وإن لم يعلنوا عن مسئوليتهم عن تلك الجريمة. بل وفي أحيان كثيرة تفتعل الجرائم وتحاك الخطط والتمثيليات لتتسنى الفرصة لاتهام المصلحين وتشويه سمعتهم عند العامة.

إطلاق الألقاب المنفرة على الدعوة الإصلاحية مثل: التخلف، الرجعية، محاربة العلم والحضارة، الأصولية، التشدد، التزمت ... إلخ.

استئجار الأبواق - من حملة الشهادات الشرعية وأدعياء الصلاح - واستعمالهم للطعن في الدعوة، واستخراج الفتاوى في أن هؤلاء خارجون ضالون مضلون، وأن الإسلام دين السماحة الذي لا يقبل تصرفات هؤلاء وآراءهم في حجاب المرأة مثلاً وتحريم الربا وعدم جواز الحكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٦.

١١- الحرب النفسية :

وهي التي تمارسها أكثر حكومات البلاد الإسلامية، وتتلخص فيما يلي:

(أ) سب الدين والسخرية بشعائره وصفات أهله وتسخير قنوات إعلامية لهذا الغرض.

(ب) نشر الفساد والتمكين له، بل وتقنينه في بعض الأحيان في مقابل محاربة الحق ومطارده أي جهد لتقليل حجم الفساد بالإضافة إلى مصادرة جهود المصلحين.

(جـ) إطلاق الألقاب للطعن في الدعوة وأهلها، وقد مر معنا قريبًا.

(د) التخاذل عن نصرة المسلمين في شتى بقاع العالم، لا بل ومنع الشعوب المسلمة من دعم إخوانهم المسلمين في دول أخرى، ومعاقبتهم على ذلك، والأدهى من هذا وذاك، دعم الكافرين ومساندتهم لإبادة المسلمين في بلد ما.

(هـ) نشر المصائب التي تحل بالدعاة والمصلحين في البلاد الأخرى وإذاعتها والتندر بها كي تلقي الرعب في قلوب الصالحين.

وباختصار: السير بالاتجاه المعاكس تمامًا لجهود المصلحين والدعاة. وكل ما ذكر يؤثر ولاشك على بعض النفوس، وقد يتسلل اليأس إلى القلوب بسبب هذه الممارسات، ناهيك عما يصيب القلب من كمدٍ وحسرة وألم، وهذا عين الابتلاء.

١٢- تسلط أهل الباطل وتمكنهم:

(وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، وهو مهمل لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله لا يملكون من أمر الحياة شيئًا.

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام، فتنة أن يجد المؤمن أممًا ودولاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان ويجدها غنية وقوية، وهي مشاقّة لله!)[1].

أجل والله لقد تسلط أهل الباطل على عباد الله اليوم حتى وَلِيَ أمرَ المسلمينَ اليوم في كثير من البلاد أبعدُهم عن الله، فابتلاهم وسامهم سوء العذاب، وضيق عليهم في كل شيء.

وتسلط أهل الباطل حتى أصبحت قلوب ضعاف الإيمان تكبرهم وتعظمهم وتنصاع لأمرهم ونهيهم، بل وتقلدهم فيما هو أخص خواصهم.

وتسلط أهل الباطل اليوم حتى إنهم لينتهكون حق الفرد المسلم، والبلد المسلم، والأمة المسلمة، ولا تستطيع دولة أن تتفوه ببنت شفه.

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٢٠).

قال ابن القيم:

وأي اغتراب فوق غربتنا التي
لها أضحت الأعداء فينا تحكّم؟!(١)

وهذا التسلط فيه ابتلاء للأمة المسلمة لأنه يقود إلى أحد أمرين:

الأول: أن يتساءل المرء: ألسنا مسلمين؟! فأين نصر الله؟ .. فيشك في دينه ويتخاذل عنه.

الثاني: أن تؤدي به هذه الظواهر إلى اليأس والقعود عن مواصلة العمل، والاستسلام للواقع. والمعصوم من عصمه الله. نسأل الله أن نكون كذلك.

١٣- الإغراء:

والإغراء سبيل يسلكه في كثير من الأحيان أعداء الله ليصطادوا ضعاف النفوس ويصرفوهم عن أهدافهم وطموحاتهم. وكون الإنسان يتعرض للإغراء بالمنصب أو المال أو الجاه أو غيرها بلا شك فتنة شديدة قلما يصمد أمامها الإنسان.

ولذلك نجد أن كفار قريش قد سلكوا هذا الأسلوب مع النبي ﷺ ليصرفوه عن دعوته، وعرضوا له المال والملك والزواج لكنه أبى، ومثل ذلك صنيع ملك غسان لما أرسل رسالته إلى كعب بن مالك رضي الله عنه يعرض عليه المأوى والنصرة، فكان ابتلاءً وأي ابتلاء. وقبل تلك الأيام وبعدها جرى الحكام على إجزال العطايا والهبات

---

(١) «حادي الأرواح»: (ص ٧).

من أجل شراء ذمم الناس، وإلى يومنا هذا يتعرض المصلحون والدعاة إلى الإغراء حينًا والتهديد حينًا آخر، وقبول الإغراء أحب إلى أعداء الله من إنفاذ الوعيد كي لا يتعرضوا لغضب العامة، والإنسان تخدره الإغراءات حتى يصاب من كثرتها بالشلل.

وسبقت الإشارة أثناء الحديث عن التشويه الإعلامي إلى شراء ذمم بعض المنتسبين إلى العلم من أجل استصدار الفتاوى وتأصيل الأصول التي توافق هوى الحكام وتخالف مطالب (الأصوليين)!.

١٤- إعراض الناس وقلة النصير وخذلان أهل الحق:

فكل واحدة من هذه الثلاث هي بذاتها بلاءٌ واختبار، وكان لرسل الله منها حظٌ، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد[1]. ونبي الله نوح مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، فما تبعه إلا قلة من أراذل الناس في أعين قومهم. وكذلك الرسول ﷺ في بداية الدعوة أعرض عنه الأقارب قبل الأباعد، وطردته الوفود والقبائل ولم يستمعوا له، ولم يكن له نصير يعينه ويدفع عنه.

ويزداد البلاء شدة إذا رأى الإنسان كثرة المتساقطين والمتخاذلين، حتى إنه ليشك في موقفه أهو على الحق وهؤلاء على الباطل؟! وهذا شبيه بما أصاب الإمام أحمد في محنة القول بخلق القرآن؛ فقد

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق: ح (٥٣١١).

(جاءه أحدهم وهو في السجن فقال: يا أبا عبدالله عليك رجل، ولك صبيان، وأنت معذور - كأنه يسهل عليه الإجابة - فقال الإمام أحمد: إن كان هذا عقلك فقد استرحت)[1].

١٥- الافتراق والاختلاف:

ما ابتليت الأمة بشر من اختلاف دعاتها وعلمائها الذي يؤدي إلى الافتراق، لأنه ضياع للجهود، واستنزاف للطاقات، ومشغلة عن مواجهة العدو الحقيقي، وعلاوة على ذلك كله: مذعاة لسخرية أهل الباطل وتندرهم.

والافتراق داخل صف صالحي الأمة يؤلم في النفس كثيراً ويقيد عن كثير من العمل، بل ويعرض الداعية إلى إحراجات كثيرة مع مجتمعه، فهو فتنة وابتلاء لجميع الأطراف، والآيات والأحاديث متوافرة في التحذير من هذا الأمر.

ومما لاشك فيه أن أعداء الله من يهود ونصارى وعلمانيين وغيرهم يفرحون بحدوث الفرقة والاختلاف داخل الصف الإسلامي، لذلك نجدهم يُذكون جذوة الخلاف ويُسقون بذرته ويهولون الأمور حتى يصلون إلى مرادهم، لذلك كان الواجب على دعاة الحق أن ينتبهوا لذلك وأن يقتلوا بوادر الافتراق ويوحدوا الصفوف على الحق والصلاح، وهذا بحد ذاته أحد أساليب مواجهة الابتلاء كما سيأتي بإذن الله.

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح: (٢/ ٢٤) نقلاً عن مقال: (أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق) في مجلة البيان (عدد ٦٨، ص ١٨) للشيخ عبدالعزيز العبداللطيف.

١٦- الميل إلى الدنيا وشغف القلب بالمعاصي :

يقول سيد قطب في معرض حديثه عن قول الله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾[١]، وبعد أن ذكر أنواعًا من الفتن مرت بنا سابقًا ثم أعقب: (وهناك الفتنة الكبرى، أكبر من هذا كله وأعنف: فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض وثقلة اللحم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان، وصعوبة الإستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس وفي ملابسات الحياة وفي منطق البيئة وفي تصورات أهل الزمان)[٢].

حقاً فتنة الدنيا - أعاذنا الله منها - أكبر وأشد وأخطر من كثير من أنواع الفتن الأخرى، وطالما وصف الله لنا الدنيا في القرآن بأوصاف ترغبنا في الصدود عنها وعدم استشرافها، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[٤].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢.

(٢) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٢٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٤) سورة فاطر: الآية ٥.

وقال ﷺ: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[١].

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»[٢].

وصدق الله وصدق رسوله ﷺ؛ فالدنيا خطرها عظيم، فكم من أخ لنا مال إليها فأخذته، وتنافسها فأهلكته.

١٧- الفتور والخور والكسل:

والقعود عن بعض العمل أو كله، والتراجع عن البذل لهذا الدين، وعن إعداد النفس بالعلم والتربية والعمل الصالح.

والفتور داء عضال يفتك بالدعاة أيما فتك، وإذا لم يتداركه الإنسان في مهده، قضى عليه. وخير وسيلة للسلامة من الفتور: توقيه بمعرفة أسبابه ومظاهره، والحذر منها.

والفتور نوع من أنواع الابتلاء لأنه يجر بعضه بعضًا ويحتاج إلى مجاهدة عظيمة للتخلص منه.

١٨- فتن آخر الزمان:

وهي بلاء عام ينزل على كل الناس، فمنهم من يثبت، ومنهم من يزل، وقد حذرنا منها ومن خطرها رسول الله ﷺ بقوله: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي**

---

(١) متفق عليه: (كتاب الزكاة، فيهما)، البخاري، ح (١٤٦٥)، ومسلم، ح (١٠٥٢).

(٢) رواه مسلم: (كتاب الذكر)، ح (٢٧٤٢).

كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[١].

وهذه الفتن ولاشك نوع من أنواع الابتلاء والامتحان، حتى إن الصحابة أدركوا بعضها؛ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة؟ فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف»**[٢].

قال ابن حجر - رحمه الله -: (وأما قول حذيفة «فلقد رأيتنا ابتلينا . . . الخ» فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة، كالوليد بن عقبة حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً ثم يصلي معه خشيةً من وقوع الفتنة . .» إلى أن قال: «وفي ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة في زمن الحجاج) ا.هـ.

وقال النووي - رحمه الله -: (وأما قوله: «ابتلينا فجعل الرجل لا يصلي إلا سرًا» فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ فكان بعضهم يخفي نفسه، ويصلي سرًا مخافة من الظهور والمشاركة في الفتنة والحروب)[٣] والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان (٢/ ١٣٣) بشرح النووي، ح (١١٨).

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير (٦/ ٢٠٦)، ح (٣٠٦٠) مع الفتح.

(٣) «شرح صحيح مسلم»: (٢/ ١٧٩).

(وكلما فسدت الحياة وأسن المشرب واستحكمت غربة الدين كان المرء أحوج إلى الصبر، حتى تأتي أيام الصبر التي ذكرها رسول الله ﷺ في حديث ثعلبة الخشني رضي الله عنه حيث قال: «**إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**» قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**»[1].

ومن الواضح أن هذه الأيام نسبت إلى الصبر لشدة الحاجة إليه فيها، وكثرة المحن والشدائد والفتن التي تستدعي الصبر)[2].

• • •

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، ح (٤٣٤١) واللفظ له، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، من سورة المائدة، ح (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) «وسائل دفع الغربة»: (ص ٢١٣).

عوامل الثبات

أ - تمهيد:

المقصود مناقشة عوامل الثبات في مواجهة البلاء والابتلاء وليس عوامل الثبات على دين الله عمومًا.

عوامل الثبات هذه فوق الحصر والعد، وكل عامل منها يحتاج إلى بحث واستقصاء، وهذا أمر يطول، ولكن نكتفي بالإشارة بالقليل استغناءً بها عن الكثير، وعليه: فمن وجد في نفسه خللاً أو تقصيراً أو تفريطًا في واحد أو أكثر من هذه العوامل فعليه باستكمال الاطلاع على أقوال أهل العلم في ذلك العامل حتى يتمكن من علاج نفسه.

وقد يكون هناك شيء من التكرار في بعض العوامل، وقد يكون بعضها داخلاً أو متنوعاً من بعض، لكنه أفرد لمزيد من التفصيل ولأهميته، ولا مشاحة في التقسيم.

ب - عوامل تربوية:

العوامل التربوية في مواجهة الابتلاء كثيرة كثيرة، وسوف تأخذ حيزاً لا بأس به في عرضنا إياها، والتركيز عليها مهم جداً لأن أكثر الخلل واقع فيها، ولأنها في الغالب أمور مكتسبة، وهاكها:

١- الصبر:

وهو في اللغة الحبس: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها[١].

والصبر المشروع بإزاء الابتلاء هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[٢].

والصبر أُسٌ عظيم من أبواب الخير والهدى، وما أكثر ما جاءت الآيات والأحاديث حاثةً عليه ومرغبة فيه عند الابتلاء؛ قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٤].

وقد روى أسامة بن زيد رضي الله عنه في قصة وفاة ابن بنت النبي ﷺ أنه ﷺ قال لرسول ابنته إليه: «**أخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**»[٥].

وفي قصة الغلام والملك أنه لما أضرمت النيران في الأخاديد وأقحم الناس فيها وتقاعست امرأة ومعها صبي لها فقال لها: يا أُمَّهْ اصبري فإنك على الحق[٦].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة»: (٣٢٩)، نقلاً عن «وسائل دفع الغربة»: (ص ٢١٠).

(٢) «مدارج السالكين»: (٢/١٥٦)، نقلاً عن «وسائل دفع الغربة»: (ص ٢١٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

(٤) سورة البقرة: الأية ١٥٥.

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب التوحيد، ح (٧٣٧٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، ح (٩٢٣).

(٦) رواها مسلم: (كتاب الزهد)، ح (٣٠٠٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: (اتقي الله واصبري)[١]، وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر، عوضته منهما الجنة؛ يريد عينيه»[٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا اخترنا منها ما له علاقة بالابتلاء.

وما دامت الأدلة الشرعية فيما يتعلق بالابتلاء بهذه الوفرة، فإن في ذلك إشارة وإثباتًا لعظم شأن الصبر ودوره البارز كأحد عوامل الثبات عند الابتلاء. وحتى لا يكون الحديث عامًا وغير منضبط فإنه سيكون فيما يلي على شكل نقاط تتعلق بمعاني الصبر، ومتعلقاته، والأمور المعينة عليه:

تذكر أحوال الصابرين من السابقين:

والذين قد يكون نزل بهم بلاءٌ أشد من البلاء الذي نزل بالمرء، ولكنهم صبروا وثبتوا على أمر الله، وهذا بدوره يساعد على الصبر، والأمثلة في هذا المجال كثيرة منها:

١- حديث خباب بن الأرت السابق، وفيه: «... ما يصده ذلك عن دينه».

٢- صبر النبي ﷺ على الأذى من قومه في مكة ومن اليهود

---

(١) متفق عليه: (كتاب الجنائز فيهما)، البخاري، ح (١٢٥٢)، ومسلم، ح (٩٢٦).

(٢) رواه البخاري: (كتاب المرضى)، ح (٥٦٥٣).

والمنافقين في المدينة، وفي هذا بوب علماء الحديث أبوابًا في كتبهم.

٣- صبر الصحابة على فراق الأهل والمال عند الهجرة، وعلى موت الآباء والأبناء والأزواج في الجهاد في سبيل الله.

٤- صبر السلف الصالح على فساد الزمان وجور الأئمة وتسلط أهل البدعة، وسير: سعيد بن جبير، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية أمثلة على ذلك.

٥- صبر أنبياء الله على الدعوة والابتلاء، وإعراض أقوامهم، خاصة أولوا العزم منهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

والخلاصة أن القدوة في صفة الصبر لها دور عظيم في اكتسابه؛ القدوة فيمن مضى وفيمن بقي؛ قال تعالى موصيًا نبيه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2].

تذكر عاقبة الصبر في الدنيا والآخرة:

وهي الفرج بإذن الله تعالى، أو الموت على الحق والهدى. وكلاهما خير؛ قال ابن القيم رحمه الله - في معرض حديثه عن البلاء -: «ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون، وغاية هذا المؤمن أن يستشهد في الله، وتلك أشرف الموتات وأسهلها؛ فإنه

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل ألم القرصة، فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الموتات وأفضلها وأعلاها، ولكن الفار يظن أنه بفراره يطول عمره فيمتع بالعيش وقد أكذب الله سبحانه هذا الظن حيث يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1]»[2].

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عاقبة الصبر فقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3]، وقال وقوله الحق: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[6]، وقال عز من قائل: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[9].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٦.

(٢) «البلاء والابتلاء»: لابن القيم (ص ١٧)؛ (كتيب مستخرج من إغاثة اللهفان).

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٦) سورة القصص: الآية ٥٤.

(٧) سورة الإنسان: الآية ١٢.

(٨) سورة النساء: الآية ٢٥.

(٩) سورة النحل: الآية ١٢٧.

وسيطول المقام لو استرسلنا في ذكر الآيات الدالة على عاقبة الصبر في الآخرة، وأما عاقبته في الدنيا فهي إما الموت على الحق - وقد سبق كلام ابن القيم فيه - أو الفرج بعد الشدة، وهي التي ستأتي.

إن الفرج آتٍ مهما طال البلاء:

سواءٌ كان الفرج بانتقال العبد من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن دار الأذى والابتلاء إلى دار الجزاء والنعيم - وهي التي مضت - أو كان بتجاوز البلاء والتمكين في الأرض. وهذا فيه عون كبير على الصبر والتصبر.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾[1].

قال ابن كثير: «هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذَّبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة، ولهذا قال: ﴿**وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**﴾ أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين» إلى أن قال رحمه الله: «وقوله: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ أي من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة»[2].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ١٣٤).

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾[1].

وعندما يشتد الابتلاء وتستحكم الفتنة فلا ينبغي لنا أن ننسى قول الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[3].

روى البخاري عن ابن عيينة قال: «ولن يغلب عسر يسرين»[4].

ومما قيل شعراً في الفرج بعد الشدة، قول الشافعي رحمه الله:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

وقول أبي حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

وقال إبراهيم بن العباس:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرج

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١٠.
(٢) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٣) سورة الشرح: الآيتان ٥، ٦.
(٤) «فتح الباري»: (٨/ ٥٨٢) كتاب التفسير.

منتديات الفلوجة الإسلامية

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وقال الآخر:

كل شيء إلى مدى وقريبًا أو بعيداً يذهب الديجور
إن خلف الظلام يختلج الفجر ويسري عبر الفضاء النور

وقال الآخر:

إن كان ليلك أسودًا فالليل في عيني صباح
لو كان فجرك غائبًا فالفجر في الآفاق لاح

استدعاء الصبر واستجلابه:

أي التصبر؛ وقد قال رسول الله ﷺ يوماً لبعض الصحابة: (**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**)[1].

وهذا يدل على أن الصبر منه شيء مكتسب يحصل بإذن الله بالتصبر وأطر النفس على ما يرضي الله تعالى، وأنه كلما تكلف عبد الصبر وجاهد نفسه عليه صار سجية له[2].

المصابرة:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3].

---

(١) البخاري: في الزكاة ح (١٤٦٩)، ومسلم: في الزكاة، ح (١٠٥٣).
(٢) ولمزيد من البحث في هذه المسألة راجع «عدة الصابرين» لابن القيم: (ص ٣٦).
(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة وهي حاله في الصبر مع خصمه، والمرابطة وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله بالتقوى وأن الفلاح موقوف عليها»[1].

التواصي بالصبر:

له دور مهم في الثبات على الصبر وبالتالي الثبات عند الابتلاء، وهو من صفات المؤمنين الناجين من الخسارة؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[3].

ولا يتحقق التواصي بالصبر إلا إذا رزق المرء صحبة صالحة يوصيهم ويوصونه، ولعله تأتي إشارة إلى أهمية الصحبة الصالحة ودورها في الثبات عند الابتلاء.

ومما يعين على الصبر تذكر صبر أهل الباطل على باطلهم وما يلاقونه في سبيله من تعب وأذى؛ فيكون هذا دافعًا للعبد أن يصبر ويرى أنه أجدر وأحق بالصبر من هؤلاء.

---

(١) «عدة الصابرين»: (ص ٣٧).

(٢) سورة العصر كاملة.

(٣) سورة البلد: الآية ١٧.

قال ابن القيم: «إن ما يصيب المؤمن من الشرور والمحن والأذى دون ما يصيب الكفار، والواقع شاهد بذلك، وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدنيا دون ما يصيب الفجار والفساق والظلمة بكثير»[١].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «إن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصرة والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بكثير، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان - وإن كان في الظاهر بخلافه - قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال؛ إن ذل المعصية لفي قلوبهم؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه»[٢].

ومما يعين على الصبر معرفة ثماره؛ وهي بحر لا ساحل له، وتعرف بمراجعة آيات الصبر - وبعضها مر معنا - ومن هذه الفوائد[٣]:

١- مضاعفة الأجر: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٤].

٢- معية الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥].

٣- جمع الله للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٦].

---

(١) «البلاء والابتلاء» لابن القيم: (ص ٣).

(٢) المرجع السابق: (ص ٦)، و «الهملجة»: حسن سير الدابة في سرعة.

(٣) باختصار من «عدة الصابرين»: (ص ٩٩).

(٤) سورة القصص: الآية ٥٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥٣.

(٦) سورة البقرة: الآيات ١٥٥-١٥٧.

٤- المغفرة والأجر الكبير: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

صبر الكرام وصبر اللئام:

قال ابن القيم - رحمه الله -: «كل أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر وأنه يحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتًا، ولم ينتزع عنه مكروهًا، وأن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لا يقدر فلا حيلة في تحصيله؛ فالجزع ضره أقرب من نفعه؛ قال بعض العقلاء: العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر . . . وقال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم، فالكريم ينظر إلى المصيبة فإن رأى الجزع يردها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع، وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين، وأما اللئيم، فإنه يصبر اضطراراً فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدي عليه شيئًا فيصبر صبر الموثق للضرب، وأيضًا فالكريم يصبر في طاعة الرحمن، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم؛ فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم صبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء . . . ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية، ولا يصبر على ما يقال

(١) سورة هود: الآية ١١.

في عرضه إذا أوذي في الله بل يفر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم في عرضه في ذات الله . . وهذا من أعظم اللؤم ولا يكون صاحبه كريمًا عند الله»[١].

البرامج العملية المقترحة لتحقيق الصبر وتحصيله[٢]:

هي كثيرة ونحن نذكرها هنا اقتضابًا، وتختلف باختلاف الأفراد إقلالاً منها وإكثارًا، ومنها ـ على وجه السرعة ـ:

١- قيام الليل: مما يدخل الجنة بسلام، وهو زاد للمسلم وخلوة بربه ليس له أن يفرط بها أو يستغني عنها، وهو قرة للعين، وسعادة للقلب، وأنس للصالحين.

٢- صيام النفل: وخاصةً الهواجر، والصيام نصف الصبر.

٣- زيارة الصالحين: ممن هم موضع القدوة؛ وذلك له فائدتان: الأولى أنهم يعينون على الصبر وتحمل البلاء بكلامهم ومرآهم، والثانية الاطلاع على ما نالهم من البلاء وكيف صبروا والاستفادة من خبرتهم في هذا.

٤- تعويد النفس على التقلل من الدنيا والزهد فيها: ومن ذلك التقلل من المأكل والمشرب والمنام والمركب والملبس.

٥- المشاركة الميدانية البدنية في مآسي المسلمين: ومنه العناية بالعوائل الفقيرة والأيتام والأرامل.

---

(١) «عدة الصابرين»: (ص ٤١).

(٢) عقد ابن القيم باباً في كتاب «عدة الصابرين» بعنوان (في الأسباب التي تعين على الصبر): (ص ٧٦)، وهو جدير بالقراءة فليحرص عليه.

٦- التعود على مخالفة المألوف من العادات: مثل ترك اللحم في الوجبات الرئيسة، الاستغناء بوجبتين في اليوم أو أقل، ويشبهه الحذر من أن تأسر المرء عادة معينة أو وضع أو عرف، بل لا بد أن يوطن نفسه على التأقلم مع كل الأوضاع والأحوال المستجدة، وأحسن عادة أن لا يكون لك عادة.

٧- الحج والعمرة: واتباع سنة المصطفى ﷺ فيهما من طول الوقوف والدعاء على الصفا والمروة، وفي عرفة، وعند المشعر الحرام، وبين الجمرات.

٨- الرحلات الشبابية والمخيمات الخلوية: مع الحرص على أن يقوم الشباب بكل شيء من إعداد المكان، ونصب الخيام، وتجهيز الطعام وغسل الأواني؛ فكل ذلك ينمي في الشاب خلق الصبر والتحمل والجَلَد. وإذا ما تسربت فكرة المخيم الجاهز، وأواني الورق إلى الأذهان فقل على الصبر السلام.

٩- الجهاد في سبيل الله: في ساحة الوغى، وفي الدعوة ونشر العلم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- مطالعة سير الصالحين.

١١- الاستعانة بالله والدعاء.

هذا هو العامل الأول من عوامل الثبات عند الابتلاء، وما ذكر إنما هو إشارات إلى جوانب مهمة في هذا الباب، وإلا فالموضوع جدير بالبسط لمسيس الحاجة إليه، ولئن كنا أطلنا الحديث فيه

على حساب غيره فذلك لأنه هو والتقوى أهم عاملان في الثبات عند الابتلاء وعنهما تتفرع بقية العوامل.

٢- التقوى:

وهي قرينة الصبر في كتاب الله، بل هي المعينة عليه، وهي معه جماع الخير وخلاصة العوامل التربوية للثبات عند الابتلاء.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وغيرهما من الآيات كثير.

ومر معنا غير بعيد توجيه النبي ﷺ للمرأة التي كانت تبكي عند القبر بقوله: «**اتقي الله واصبري**».

وسنجري ها هنا على نفس الطريقة التي جرينا عليها في حديثنا عن الصبر فيما يتعلق بمعاني التقوى ومتعلقاتها والأمور المعينة عليها.

تعظيم أمر الدين وشعائره:

سبب بارز في حصول التقوى وتقويتها، ومثله الشعور بنعمة الإسلام؛ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[3]، فمن عظم دين الله في نفسه هان ما سواه في سبيله، وحصلت من جراء ذلك التقوى. ومن التقوى طاعة أمر الله ورسوله بالصبر عند نزول البلاء.

ومن اعتز بنعمة الإسلام لم يتنازل عنها مهما كان الثمن، ومن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٠.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٢.

علامة التقي أنه يعرف قيمة أمر الدين ونعمة الإسلام لذلك تجده وقّافًا عندحدود الله لا يتعداها.

التسليم والرضا بقضاء الله وقدره:

أحد أركان الإيمان، وموجب من موجبات التقوى، وباعثٌ للطمأنينة والراحة والسعادة. ذلك أن المؤمن التقي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، لذلك تجده صابراً لا يجزع أبدًا؛ فهو يعلم أن هذا من قضاء الله وقدره ويرضى بذلك.

والمؤمن التقي كذلك يعلم أن أهل الأرض لو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، رفعت الأقلام وجفت الصحف، لذلك لا أحد يشك أن النتيجة الحتمية لهذا الاعتقاد هو الرضى والتسليم والصبر الذي لا يصاحبه حسرة ولا تسخط وتلك إحدى ثمار التقوى.

الصدق:

ونقصد به كل ما تحتمله هذه الكلمة من معانٍ؛ فهو يشمل: الصدق مع الله بفعل أمره واجتناب نهيه سراً وعلانية، والصدق مع دين الله وسنة رسوله ﷺ بالحب والدفاع والذود والتبليغ، والصدق مع النفس بالتزكية والتطهير من شوائب الإيمان والركون إلى الدنيا، والصدق مع الخلق بالنصح ومحبة الخير لهم والدعوة والإرشاد وعدم الغش أو الكذب.

فالصدق بهذه المستلزمات رافد مهم من روافد التقوى؛ لما يستلزمه من العمل الصالح الذي يؤدي إلى التقوى؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ

أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

فهذه أعمال صالحة عظيمة من أعمال القلوب والجوارح وصف أهلها بالصدق والتقوى.

الزهد في الدنيا والاستغناء بالآخرة:

ولم ننس بعد ما مر معنا من أحاديث عن خير الزاهدين محمد ﷺ في التحذير من الدنيا وزينتها وفتنتها، وكلما زهد الإنسان في الدنيا رغب في الآخرة واقترب منها، والعكس بالعكس تمامًا، ألا وإن الزهد ينطوي على خيرات كثيرة تؤدي بمجموعها إلى حصول التقوى ونمائها، ومن ذلك:

١- التفرغ للعبادة والتقرب من الله تعالى لقلة مشاغل الدنيا.

٢- انقطاع القلب إلى الله وثوابه في الدار الآخرة.

٣- عدم التردد في اتباع الأوامر الشرعية، وإن أدت إلى فوات شيء من الدنيا.

٤- حصول محبة الله للعبد ومحبة الناس له؛ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال: «**ازهد في**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[١].

والزهد في الدنيا عامل مستقل بنفسه من عوامل الثبات عند الابتلاء؛ ألم تسمع بمقالة شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال إبان سجنه: «ماذا يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أنّى رحت فهي معي لا تفارقني؛ سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي من بلدي سياحة».

وقبل شيخ الإسلام، الإمام أحمد لما خرج من السجن بعد سنين، وأرسل له أمير المؤمنين أموالاً إكرامًا له، فقال: «لَهَذه ـ أي الأموال ـ أشد علينا من تلك ـ أي الحبس في فتنة القول بخلق القرآن ـ ثم فرق الأموال ولم يبت وعنده منها شيء». إنه الزهد فحسب، نعم الزهد الذي يعين على تحمل البلاء والصبر عليه في ذات الله.

والله سبحانه وتعالى قد قص علينا في كتابه العزيز ما يدل على ذلك قال تعالى حكايةً عن سحرة فرعون لما أسلموا: ﴿**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ**﴾[٢].

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الزهد: (ح ٤٠٩٢)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٩٤٤).

(٢) سورة طه: الآيات ٧٢ - ٧٦.

الله أكبر، انظر كيف يفعل الإيمان وانظر كيف يفعل الزهد، هذا الثبات في مواجهة العذاب والقتل من طاغية الزمان - الذي يعرفونه جيداً - يقع من أناس لم يسلموا إلا للتوِّ، فكيف بمن عمره في الإسلام سنون؟!.

ألا وإن من أعظم ما يربي الإنسان على الزهد: اطلاعه على أخبار الصادق المصدوق ﷺ وأحاديثه في هذا الشأن ومنها:

وصفه ﷺ حجم الدنيا مقارنة بحجم الآخرة، وداعيًا إلى توجيه الهمم إلى ما هو أحق وأجدى؛ حيث قال عليه السلام: (**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم ترجع**)[1]، هذا إذا حاز المرء الدنيا كلها. فما بالك إذا كان الناس كلهم شركاء له فيها. حقًا إنها متاع زائل وسراب خادع.

ومهما أصاب المرء في الدنيا من شدة وبأساء وضراء فإن ذلك كله يزول مع أول غمسة في نعيم الجنة؛ قال ﷺ في حديث عظيم، ارع له سمعك وفرغ له ذهنك وتدبره واعتبر به: (**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**)[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ح (٢٨٥٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح (٢٨٠٧).

وبناءً على هذا فإن من يضعف وينهزم ويتخاذل أمام الابتلاء طمعًا في الدنيا وحرصًا عليها، وبخلاً على نفسه من لقاء ربه والسعد بجنته سوف ينسى كل نعيم حصل له في الدنيا من جراء هذا التخاذل من أول غمسة في العذاب، فاختر لنفسك أيها اللبيب ما شئت.

وما أحسن قول الشافعي ـ رحمه الله ـ في وصف الدنيا:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وأحسن منه ما رواه جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفَتَيه[1] فمر بجدي أسك[2] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: **(أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟)** فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: **(أتحبون أنه لكم؟)** قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: **(فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)**[3].

أتُرى عاقلاً - وقد حلف له رسول الله ﷺ على هوان الدنيا عند الله - يختار هذه الدنيا الهينة عندما يصيبه الابتلاء؟ إن وصف الدنيا بهذا الهوان لمن أعظم الدوافع للزهد فيها والصبر عند فراقها، وهذا يؤدي بالتالي إلى الثبات عند البلاء والصبر في مواجهته.

ونختم الحديث عن الزهد في الدنيا بقول أحد العقلاء: «إن الدنيا مثل ظل الإنسان إن طَلَبْتَه فر وإن تَرَكْتَه تبعك»، إن الدنيا

---

(١) أي عن جانبيه.

(٢) أي صغير الأذن.

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح (٢٩٥٧).

التي تطلبها تشبه الظل الذي يمشي معك:

أنت لا تدركها متبعًا وهي إن وليت عنها تبعتك

وكلنا يتذكر قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وكتاب ملك غسان، وما كان رضي الله عنه ليفعل ما فعل لولا أنه كان زاهدًا في الدنيا وجاهها.

استشعار الفقر إلى الله والحاجة إليه:

وهذا يملأ القلب بالتقوى ويعين على تحمل البلوى ورفع الشكاية إلى الله وحده، وكذلك يستشعر الإنسان أن الله لو وكله إلى نفسه لوكله إلى ضعف ونقص.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**﴾[1]؛ فالمؤمن لا يستغني عن تثبيت الله له لأنه مفتقر إليه، وإذا تخلى الله عنه فإنه سيركن إلى الباطل وأهله وينهزم في بداية المواجهة مع الابتلاء، والمخذول من خذله الله.

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة أن تقول إذا أصبحت وإذا أمست: **(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)**[2].

الإخلاص في الأعمال كلها:

ظاهرها وباطنها، وهو ركن ركين من أركان التقوى، وله دور عظيم في تنمية الخوف من الله في القلوب ومراقبته في الأقوال والأعمال.

والإخلاص من أعمال القلوب التي ينبغي للمسلم أن يعتني بها

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٤.

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٢٧٣).

على الدوام؛ لأن مدار قبول الأعمال إنما هو على الإخلاص والمتابعة.

وما يورثه الإخلاص في القلب من التقوى والتوجه إلى الله تعالى ومراقبته والخوف منه له دور مهم في مواجهة الابتلاء والثبات على الحق.

الاجتهاد في الأعمال الصالحة:

وذلك مما يزيد التقوى ويرسخها ويعين على الثبات عند البلاء؛ فإنه من عبد الله بحق وقت الرخاء كان الله له عونًا ونصيرًا وقت البلاء، وقد علَّم النبي ﷺ ابن عباس هذا فقال: (**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة**)[1]، وفي رواية: (**احفظ الله تجده تجاهك**)[2] ويدل على هذه الحقيقة أيضًا ما روته أم سلمة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قام ليلة فَزِعًا ثم قال: (**سبحان الله! ماذا أُنزِلَ الليلة من الفتنة؟! ماذا أُنزِلَ من الخزائن؟! من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رُبَّ كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة**)[3]، فدل على أن قيام الليل سبب من أسباب الثبات وقت الفتن.

ترك المشتبه والتورع عنه:

وذلك من الأمور التي هي داخلة في التقوى، وأحد ثمارها ومستلزماتها في ذات الوقت؛ فإنه يورث في القلب سعادةً، ونماءً للتقوى، ومثله البعد عن مواطن الشبهة والتهمة واستنزاه النفس عنها إلا لأمر بمعروف أو نهي عن منكر.

---

(١) رواه أحمد: (١/٣٠٧) بثلاثة أسانيد صحح أحدها أحمد شاكر (٤/٢٨٦، ح ٢٨٠٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ح (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجمعة، ح (١١٢٦).

منتديات الفلوجة الإسلامية

البرامج العملية المقترحة لتحقيق التقوى:

وهي أكثر من أن تحصى وتعد، وإليك منها أمثلة فقط يعلق على كل واحدة منها بما يناسب:

١- المحافظة على الأذكار الشرعية في مناسباتها مع تأمل معانيها واستشعار ما تنطوي عليه من العلم والحكمة.

٢- الإكثار من الاستغفار والتوبة مع التسبيح والتهليل والتكبير كما كان رسول الله ﷺ يفعل، مع الحرص على الأوقات الفاضلة؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

٣- العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى قراءةً وحفظًا وتفسيراً وتدبراً، عناية لا ينبغي أن يحدها حد أو يكون لها نهاية؛ لأن القرآن نورٌ للمؤمن في الدنيا والآخرة، ورفعة لدرجته في الدنيا والآخرة. وبأي شيء يأنس وقت البلاء من خلا جوفه من القرآن، وأي أُنسٍ عساك أن تجد في البيت الخرب.

٤- الإكثار من الدعاء والتوجه إلى الله سبحانه في أمور الدنيا والآخرة، وتحري ساعات الإجابة.

٥- محاسبة النفس محاسبةً جادةً مثمرة في جميع الجوانب، واستدراك التقصير والخلل قبل أن يتسلل الفتور إلى النفس.

٦- تليين القلب بالمواعظ بحضور مجالسها، وقراءة كتبها، وسماع أشرطتها.

٧- الاطلاع على سير السلف الصالح، ومعرفة المستوى الذي وصلوا إليه في التقوى وعبادة الله تعالى.

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣، ١٤٤.

منتديات الفلوجة الإسلامية

٨- الإكثار من النوافل؛ من صلاة الليل، والضحى، والرواتب، والنافلة المطلقة، وكذلك صيام النفل، وصدقة التطوع، والحج والعمرة.

٩- المناصحة بين الإخوان، والدعوة إلى الله عز وجل والتواصي بالحق، والتعاون على ما من شأنه زيادة الإيمان والتقوى.

٣- تذكر فوائد الابتلاء:

وسيأتي حديث مفصل عنها في آخر البحث إن شاء الله تعالى.

٤- الابتلاء سنة ماضية:

الحديث عن هذا العامل المهم من عوامل الثبات في مواجهة الابتلاء يحتاج إلى الإطالة فيه؛ وما ذلك إلا لأهمية إدراك واستشعار وتذكر وتصور هذه الحقيقة؛ وهي أن الابتلاء سنةٌ ماضية جارية على من مضى، وعلى من سيأتي وهذا هو قدر الله وحكمته.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[2].

وقد مر معنا حديث خباب رضي الله عنه وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبره بالبلاء الذي كان ينزل في الأمم السابقة[3]، وعلى هذا المعنى يدل أيضًا حديث أبي سفيان مع هرقل؛ وفيه أن هرقل قال له: (**سألتك**

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٣) راجع الحديث: ص ١٣.

كيف كان قتالكم إياه، فزعمت أن الحرب سجال ودول، فكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة)[١].

وعلى هذا فإن سنة الابتلاء في الدعوات ماضيةٌ لا مفر منها، ولا يمكن اتقاؤها؛ فسفينة الدعوة لا بد أن تعبر قنطرة الابتلاء، ومن ظن أنه بذكائه، ودهائه، وحنكته، وحكمته يستطيع أن يجنب قافلة الدعوة من دخول نفق الابتلاء فقد أخطأ الظن، وضل المسير؛ لأن هذا هو قدر الله الماضي، وهذه هي سنته في الأولين كما دلت الأدلة السابقة، وهذه هي سنة الله وقدره في حتمية تعرض الدعوة والدعاة والمصلحين إلى الأذى والحرب من أهل الباطل. إنه الصراع بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، الذي أخبرنا عنه الله في غير موضع من كتابه؛ قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾[٢].

إذًا كلا الفريقين إنما هو ابتلاء للآخر «ولاختلاف التصور والنظرة بين المؤمن والكافر، ثم اختلاف المنهج والطريق، صارت الحياة صراعًا بين هذين المنهجين فيُبتلى هذا بهذا وهذا بهذا» فالمؤمنون يبتلون بالكفار، والكفار يبتلون بالمؤمنين، وهذا النوع من الابتلاء وهو (ابتلاء العباد بعضهم ببعض) هو أيضًا قاسمٌ مشتركٌ بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير: ح (٢٨٠٤)، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، ح (١٧٧٣).

(٢) سورة محمد: الآية ٤.

لِيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾، وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: (إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك)[١]، والله تعالى يداول الأيام بين الناس بحكمته؛ فيديل للمؤمنين من الكفار تارة، ويديل للكفار من المؤمنين تارة، ويجعل الكفار تحت سلطة المؤمنين وقهرهم حينًا، ويجعل المؤمنين تحت قهر الكفار وتسلطهم حينًا آخر، والدهر هكذا، ولكن المؤمن يتميز بمعرفته أن هذا البلاء الذي لقيه من أعدائه من الكفار والمنافقين والفاسقين إنما هو بسبب التزامه بهذا الدين، وصبره عليه، ودعوته إليه، وهو يؤمن بأنه دين الله الذي ارتضاه لعباده كلهم ولن يقبل منهم سواه، ولهذا يكون الابتلاء الذي يلقاه المؤمن في سبيل هذا الدين أثرًا من آثار الاستقامة على المنهج»[٢].

ولو سبرنا التاريخ واطلعنا على سير الأنبياء - ولنا فيهم أسوة - لوجدنا الابتلاء بالصراع بين الحق والباطل سمةً واضحةً في سيرهم، بل تكاد تمثل جل سيرهم صلوات الله عليهم وسلامه، والقرآن شاهد على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح (٢٨٦٥).

(٢) من وسائل دفع الغربة»: (ص ١٩٩) بتصريف يسير.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٣١.

فنبي الله آدم عليه السلام: ابتُلي أول ما ابتُلي بإخراجه من الجنة، ثم هبوطه إلى الأرض.

ونبي الله نوح عليه السلام: ابتلي بكفر الأقربين: الابن والزوجة وإعراض قومه على طول دعوته.

ونبي الله إبراهيم عليه السلام: ابتلي بكفر الأب، والحرق بالنار - فنجاه الله - وترك الذرية، والأمر بذبح الابن، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾[1].

ونبي الله أيوب عليه السلام: ابتلي بالمرض والسقم.

ونبي الله لوط عليه السلام: ابتلي بقوم كالبهائم وساوموه على أضيافه.

ونبي الله موسى عليه السلام: ابتلي بعناد قومه، وإعراضهم، وتسلط فرعون وعتوه.

ونبي الله زكريا، وكذلك يحيى: ابتليا بالقتل.

ونبي الله يوسف عليه السلام: ابتلي بالسجن، والتهمة في العرض، والبعد عن الوالدين في الصغر.

ونبينا محمد ﷺ: ناله من البلاء ما ناله، وقد مر معنا شيء من ذلك لا حاجة لإعادته هاهنا.

وقريبًا من ما مضى نال أيضًا أتباع الأنبياء ومن سار سيرهم، وبعض هؤلاء الأنبياء ذكرتهم سورة العنكبوت إجمالاً، وهي التي افتتحت بذكر وقوع الابتلاء على الأمم السابقة.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٦.

إن إدراك هذه الحقيقة: (الابتلاء سنة ماضية)، وإدراك حقيقة الصراع بين الحق والباطل، لمن أقوى العوامل المعينة على الصبر والثبات؛ لأن المؤمن يدرك أن هذا قد جرى على من قبله، بل أكثر منه، فصبروا فكان لهم من الله الأجر العظيم، ولهم في الدنيا الذكر الحسن، حتى صاروا قدوة لمن بعدهم، وهذا كله يجعل العبد أكثر إصراراً على السير في طريقهم، واللحوق بركبهم، والصبر كصبرهم.

هذه هي قافلة الابتلاء فاختر أن تكون من أهلها أو لا تكون.

٥- الابتلاء قدر الله لخيار هذه الأمة:

«من رحمة الله بعباده المؤمنين أن يسلط عليهم البلاء، ثم يرزقهم الثبات، لينالوا عنده الأجر العظيم، وهو سبحانه يربيهم بالمحن والشدائد ويصفي قلوبهم من الدخل والغل والغش، وكلما خرجوا من محنة أو فتنة بالصبر والثبات والإصرار قيّض لهم أخرى أشد منها بعد أن وعوا درس المحنة الأولى، وأفادوا منه وارتقى مستوى إيمانهم ويقينهم.

ولو أنهم ابتلوا بالمحنة الآخرة أولاً لربما ضعفوا أو تزعزعوا، ولكن الله تعالى يدرّجهم فيها صُعدًا، ليتنامى إيمانهم ويقوى ويزداد، وقد بين الرسول ﷺ هذه المعاني لأصحابه بيانًا قويًا مكررًا في مناسباته؛ لأنهم كانوا في أشد الحاجة إليه، حيث إنهم حملة رسالة الإسلام أول مرة، والمضحين في سبيلها والمبتلين من أجلها، وكانوا مع هذا أحب الأمم إلى الله وأقربها إليه زلفى،

وأعظمها عنده قدراً.

عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[1].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره في يدي فوق اللحاف، فقلت يا رسول الله: ما أشدها عليك؟ قال: (**إنا كذلك يضعّف لنا البلاء ويضعّف لنا الأجر**) قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**» قلت يا رسول الله: ثم من؟ قال: (**ثم الصالحون، وإن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يُحويِّها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**)[2]»[3].

نعم إن الابتلاء هو قدر الله لخيار هذه الأمة، وهو علامة على صحة المسار، وإدراك هذا له أعظم الأثر في حصول الثبات بل والفرح بالابتلاء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مالك: إن محمد بن المنكدر لمّا ضُرب، فزع لضربه أهل المدينة، فاجتمعوا إليه، فقال: «لا عليكم؛ إنه لا خير فيمن لا يؤذى

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، ح (٢٣٩٨)، وقال حسن صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، ح (٤٠٢٤)، والبخاري في الأدب المفرد، ح (٥١٠)، وصححه الألباني: الصحيحة ١٤٤.

(٣) «من وسائل دفع الغربة»: (ص ٢٠٢).

في هذا الأمر»[١].

وكذلك فإن الابتلاء هو طريق الإمامة في الدين، قيل للشافعي: أيهما أفضل للرجل: أن يبتلى أو يمكن؟ قال: (لا يمكن حتى يبتلى).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢]، قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

«إن المؤمن كلما ازداد تمسكه بهذا الدين، وصبره على تكاليفه ازدادت - تبعًا لذلك - شدة الابتلاء والفتنة عليه من قبل أعداء هذا الدين، حتى ينتصر هذا المؤمن بأي صورة من صور النصر، أو ينتصر الأعداء بزحزحته عن دينه أو فتنته عن بعض شرائعه، ولا انتصار لهم إلا بهذا»[٣].

٦- قد يكون البلاء عقوبة على ذنب:

وهذا يقع كثيراً، وقد يكون الابتلاء بدون ذنب إنما المقصود منه رفع الدرجات وتحقيق الإيمان. وهنا تبرز أهمية محاسبة النفس - التي أشرنا إليها سابقًا - فإذا وقع فلا بد أن يسأل المرء نفسه عن ذنب ارتكبه، ويربط هذا الابتلاء بذاك الذنب وكأنه عقوبة عاجلة، وهذا يدفع المرء إلى التوبة كما يدفعه إلى الثبات عند الابتلاء لأنه يعلم أن هذا الابتلاء إنما هو بسبب ما اقترفته يداه فيكون أدعى للصبر.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا

---

(١) «المحن»: (ص ٣٢٦).
(٢) سورة السجدة: الآية ٢٤.
(٣) «من وسائل دفع الغربة»: (ص ٢٠٩).

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣].

كل هذه الآيات تدل على أن المصائب والابتلاء الذي ينزل بالعبد إنما هو بما كسبت يده، فكأنما هو الذي أوقع نفسه بالبلاء، وكأنما هو الذي فتن نفسه بنفسه. وقد جاء التعبير بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾[٤].

وقد قص الله سبحانه وتعالى لنا خبر القرية التي كفرت بأنعم الله فكان جزاء هذه المعصية أن ابتلاهم الله بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، وخبر القرية التي كانت حاضرة البحر فعدوا في السبت فابتلاهم الله تعالى وقال عنهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٥].

والسلف الصالح رضوان الله عليهم لم تكن هذه الحقيقة تغيب عن بالهم، حتى إن بعضهم يخبر أنه يجد أثر المعصية في أهله وراحلته، والآخر يخبر أنه نظر إلى عقب امرأة فأنساه القرآن بعد سنين، وقال مطرف: ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فاستصغرته.

والمقصود أنه لا بد أن تكون معرفة هذه الحقيقة دافعًا لنا إلى الصبر على الابتلاء وكذلك التخلص من الذنوب ومحاسبة النفس عليها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.
(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠.
(٣) سورة النساء: الآية ٧٩.
(٤) سورة الحديد: الآية ١٤.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٦٣.

٧- تذكر آثار النكوص:

«ربما نزل بالمرء نازلة بسبب دعواه الإيمان فسخط، وجعل فتنة الناس كعذاب الله وانقلب على وجهه فخسر الدنيا والآخرة، مع أن الإنسان لا ينفك عن أذى الناس وضرهم؛ فإنه إذا ارتد وانحرف وانحاز إلى صف الكافرين أو الفاسقين، تعرض للضرر والإهانة والقتل وسلب المال بأيدي المؤمنين المجاهدين، فمن لم يصبر على الأذى في طاعة الله واختار المعصية كان ما حصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير، ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله واختاره على الكرامة والعز في معصية الله كانت له العاقبة في الدنيا والآخرة، وانقلب ما ناله من الأذى نعيمًا وسرورًا، كما ينقلب ما يحصل لأرباب المعصية من التنعم بالذنوب حزنًا وثبورًا.

ولذلك صار الصبر من الدين بهذه المنزلة؛ إذ إن أصل الصبر لا يستغني عنه مسلم البتة، فهو محتاج إلى الصبر الذي يعينه على الدخول في الإسلام وتحمل ما يلقى في هذه السبيل، ومحتاج إلى الصبر الذي يعينه على المضي في طريق الإيمان والاستمرار والثبات على ما هو عليه، فإذا لم يصبر أوشك أن يدع دينه لأهواء الخلق المناقضة لشرع الله»[1].

هذه واحدة من آثار النكوص تذكرها يعين المرء على الثبات عند الابتلاء والصبر عليه.

- **والإنسان قد يكون محل أسوة عند الناس** - بل هكذا يجب أن

(١) «من وسائل دفع الغربة»: (ص ٢١٢).

يكون الداعية - ومجرد تنازله وتخاذله يجر بالأمم من خلفه إلى هذا الطريق الرخيص الذي لا يرضي الله سبحانه وتعالى؛ فيكون سببًا في إغوائهم، وهذا جزء من الأمانة التي حمّلها الله تعالى أعناق الدعاة والمصحلين. ولنا في موقف الإمام أحمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن أسوة حسنة؛ إذ أبى أن يتراجع، لا بل أبى أن يتأوّل القرآن كي لا يسيء العامة فهم موقفه فيكون سببًا في إغوائهم وإضلالهم.

وعلى فرض أنه لم يكن مكان قدوة في أعين الناس، فإن نكوص المرء يفت من عزم إخوانه الصابرين ويزعزع موقفهم، وكلما نكص واحدٌ فكأنما هي طعنات توجه إلى أجساد الصابرين الثابتين، ومن زاوية أخرى فإن تخاذل الإنسان وقت الابتلاء يغري أمثاله على التخاذل، والذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم بعد، بل قد يكون هذا الابتلاء هو أول اختبار لهم، وهم يحاولون التصبّر، فيكون تخاذل أحدهم دافعًا للآخرين كما أن صبر الأفراد يقوي العزائم، ويشد الأزر، ويعين على المسير في طريق الثبات.

- **ومن آثار النكوص: الحسرة والندامة** التي تهجم على القلب، وقد تقعد عن العمل لمّا ينكشف البلاء ويفرح الثابتون الصابرون بفضل الله، ويندم المتخاذلون على ما فرطوا فيما فتح لهم من أبواب الخير والفضل وكرامة الله.

- **ومن آثار النكوص: ضعف الإيمان** والاستمرار في تقديم التنازلات، بل قد يجد المرء صعوبة بالغةً في استعادة مستواه الإيماني والعودة

إلى ما كان عليه من الفضل والخير فيُصاب بالفتور، ويكون معرضًا أكثر من ذي قبل للانهزام في أي امتحان إلا من رحم ربي، وقد تكون النتيجة النهائية هي الانحراف عن سبيل الله والعياذ بالله.

- **ومن آثار النكوص: تسلط أعداء الله على عباد الله** لما يرون من ضعفهم وتخاذلهم واحدًا بعد الآخر؛ فيسلطون عليهم شتى أنواع البلاء بالسراء والضراء. ولكنهم إن صبروا وثبتوا على الحق والهدى فإن كل لحظة تمضي وهم كذلك أغيظ لقلوب الأعداء وأطول عليهم من سنين متواصلة، وهذا بحد ذاته نصر، ولعله يكون من عاجل بشرى المؤمن.

- **ومن آثار النكوص كذلك: غضب الله وسخطه وأليم عقابه.**

٨- تربية روح العزة والأنفة:

بالترفع عن صغار الأمور وسفاسفها، والتعالي على مطامع الدنيا وإغراءاتها، والنظر إلى معالي الأمور وأخذ الأمور بالجد. ويدخل في هذا: النظر إلى الكفار نظرة احتقار مشوب برحمة؛ احتقار لما هو مقيم عليه من الكفر والضلال، واحتقار لعقله الضال الذي أوصله للكفر بالله، ورحمة وشفقة عليه من النار والخلود فيها، ومن البلاء الذي يصيبه كل يوم والذي يحيل حياته إلى شقاء لا سعادة فيها.

وهذه النظرة التي نذكرها كان ينظر بها الحسن البصري - رحمه الله - وهو ما نستوحيه من قوله: «إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال إنّ ذل المعصية لفي قلوبهم؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه».

وتبرز أهمية هذا العامل والتربية عليه في مواجهة البلاء بتصورنا للمسلم الذي ينظر بروح العزة بما يحمله من إيمان إلى الغني الذي سلط ماله في معصية الله، فترى المسلم يمقت فعله فلا تتطلع نفسه إلى المال ولا تستشرفه.

ومن سائل تربية روح العزة والأنفة:

النظر البعيد للآخرة وثوابها مع الزهد في الدنيا وعوارضها، وقد مر معنا الكلام عن الزهد ودوره في مواجهة الابتلاء، ولعل هذا العامل يتجلى واضحًا في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة تبوك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجره، فكان يخرج إلى السوق فيسلم على الناس ولا أحد يرد عليه السلام لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا ابتلاءً عظيمًا له رضي الله عنه، وفي تلك اللحظات الحرجة تأتيه رسالة ملك غسان تساومه على دينه في سبيل الحصول على الدنيا، فتجلى هاهنا موقف العزة والأنفة والتعالي على أعداء الله مع الزهد في الدنيا والإعراض عنها، والصبر على البلاء والرضى بقضاء الله وقدره؛ فما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال: «وهذا أيضًا من البلاء» ثم يمم بها التنور وأحرقها[1].

قوم إذا الخطب دوى في مرابعهم
وراح يقذف من أشداقه نارًا
قالوا له والردى تغلي مراجله
إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا

---

(١) انظر قصة توبة كعب في: البخاري، كتاب المغازي، ح (٤٤١٨)، مسلم، كتاب التوبة، ح (٢٧٦٩).

منتديات الفلوجة الإسلامية

٩ - تربية روح الشجاعة والجرأة:

وتقوية القلب وتنمية الجسارة في النفس من خلال البرامج النظرية والعملية الآتية:

من البرامج النظرية:

١- مطالعة سير الأبطال ومواقفهم الحاسمة، مع النظر في الغزوات الإسلامية وحوادثها، ومن أمثلة ذلك:

- مبارزة علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب وغيرها.
- مقتل كعب بن الأشرف على يد محمد بن مسلمة وأصحابه.
- قتل سلام بن أبي الحقيق على يد عبدالله بن عتيك ومن معه.
- جرأة عمر رضي الله عنه في مواقف كثيرة.
- شجاعة وإقدام سلمة بن الأكوع.
- مواقف الإمام أحمد وابن تيمية وهي كثيرة.
- مواقف سلطان العلماء العز بن عبدالسلام.

٢- ترسيخ الإيمان بالقضاء والقدر، ويدخل فيه العلم بأن الشجاعة والجرأة إذا كانت في الحق مضبوطة بضابط الشرع لا تقدم أجلاً ولا تنقص العمر ولا الرزق.

ومن البرامج العملية:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان.
- مناصحة أولياء الأمور والمسؤولين والإنكار على المخطئ منهم.
- الخطابة والوعظ والإرشاد.
- الرحلات الشبابية والسفر الطويل.

١٠- تربية الأهل على المشاركة:

المشاركة في المعاناة وتحمل ما ينالهم في سبيل الله، وجعلهم دوماً على أهبة الاستعداد لنزول الابتلاء ليقفوا مساندين للداعية في محنته، وليثبتوا على الحق إذا نزل بهم البلاء، وهكذا يكونوا عونًا لولي أمرهم على الصبر والثبات لا عاملاً مخذلاً ومثبطًا، ولك أن تتخيل رجلين نزل بهما البلاء؛ أحدهما يقول له أبوه أو أمه أو زوجته أو ابنه - وهو تحت سياط العذاب، أو في السجن أو على فراش المرض . . . إلخ - يقول له: «اثبت واصبر واطمئن فنحن بخير وندعو لك» وأما الآخر فيقول له: «تنكدَتْ حياتنا وساءت معيشتنا وليس لنا أحد ينفق علينا»، لا شك أن فرص الثبات والتخاذل متباينة بين هذين الرجلين.

وهاهنا قصتان لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، كلتاهما لمَّا هاجر أبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأولى: لما أتاها والد أبي بكر وهو شيخ كبير أعمى وقال لها: والله إني لأراه قد فجعكم بماله ونفسه، فقالت أسماء: كلا كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فأخذت حجارة فوضعتها في كوة كان أبو بكر يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبًا، وأخذت بيد جدها فقالت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه فقال: لا بأس إن كان قد ترك هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، قالت أسماء وهي تروي القصة: والله ما ترك لنا شيئًا،

ولكن أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك[١].

الثانية: لما جاءها نفر من قريش فيهم أبو جهل سألوها عن والدها فقالت: لا أدري، فضربها أبو جهل بلطمة طرحت قرطها[٢].

ومن هنا تتبين أهمية تربية الأهل والأولاد على المشاركة وتحمل البلاء إذا نزل بهم أو بوليهم، بحيث يكونون عونًا له على ما يرضي الله تعالى. وثبات الأهل ومساندتهم من أسباب الثبات والصمود:

«عن الهيثم بن خلف الدوري أن محمدًا بن سويد الطحان حدثه قال: كنا عند عاصم بن علي ومعنا أبو عبيد وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يُضرب، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي فنكلمه؟ قال: فما يجيبه أحد، ثم قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك يا أبا الحسين، ثم قال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين أبلغ إلى بناتي فأوصهم، فظننت أنه ذهب يتكفن ويتحنط ثم جاء فقال: ذهبت إليهن فبكين. وجاء كتاب ابني عاصم من واسط: «يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت»[٣].

---

(١) إسنادها صحيح: رواها ابن إسحاق؛ راجع «السيرة النبوية»، كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني: (ص ٢٢٩).

(٢) ابن إسحاق بإسناد منقطع، راجع «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» د. مهدي رزق الله أحمد: (ص ٢٧٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء»: (٩/ ٢٦٤).

وتربية الأهل والأقارب على المشاركة يكون بطرق هذا الموضوع مراراً وإرشادهم إلى أسباب الثبات، وطرح أمثال هذه القصص معهم.

١١- إدراك أن كيد المبطلين ضعيف، وأن العاقبة للمؤمنين:

إن كيد القوة العالمية من الجن والإنس داخل تحت مشيئة الله وقهره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١].

وهذا يكسب المؤمن الثقة بالله والاستهانة بأعداء الله واحتقار مكرهم وكيدهم مهما بلغ، ومع أن الله سبحانه وتعالى قد وصف مكر الكافرين بأنه كبير؛ قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[٣].

إلا أنه سبحانه قال في مقابل ذلك: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٨].

ولذلك فلا بد من إزالة رهبة الأعداء من قلوب المؤمنين، وزرع

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.
(٢) سورة نوح: الآية ٢٢.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٦.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٠.
(٥) سورة النحل: الآية ٢٦.
(٦) سورة النساء: الآية ٧٦.
(٧) سورة الأنفال: الآية ١٨.
(٨) سورة غافر: الآية ٢٥.

الثقة بالله عز وجل وبوعده الكريم للمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[5].

يقول سيد قطب: «إنه تصوير عجيب لحقيقة القوى في هذا الوجود؛ الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحيانًا، فيسوء تقديرهم لجميع القيم» إلى أن يقول: «قوة الله وحده هي القوة، وولاية الله وحده هي الولاية، وما عداه فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل. إنها العنكبوت وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وإن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى وللإغراء والإغواء، لجديرون أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الضخمة ولا ينسوها لحظة وهم يواجهون القوى المختلفة؛ هذه تضربهم وتحاول أن تسحقهم، وهذه تستهويهم وتحاول أن تشتريهم، وكلها خيوط العنكبوت في حساب الله، وفي حساب العقيدة وحين تعرف حقيقة القوى تحسن التقويم والتقدير»[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.
(٢) سورة هود: الآية ٤٩.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٥.
(٤) سورة الروم: الآية ٤٧.
(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤١.
(٦) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٣٦) وما بعدها.

١٢- الدعـاء:

سلاح المؤمن الذي يشهره في وجه كل مصيبة وبلاء، والله سبحانه وتعالى قد وعد بإجابة الدعاء عمومًا، فكيف ممن نزل به البلاء وصبر عليه في ذات الله تعالى، قال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[٢].

وموضوع الدعاء مترامي الأطراف، وحسبنا منه ما له مساس بما نحن بصدده من الحديث عن الابتلاء وكيف يكون الدعاء عامل ثبات.

ومن تطبيقات الدعاء في باب الابتلاء:

١- أن يدعو العبد ربه أن لا يبتليه.

٢- أن يدعو العبد ربه أن يثبته عند الابتلاء وأن لا تكون البلية في دينه.

٣- أن يدعو العبد ربه أن يخفف عنه البلاء.

---

(٢) سورة النمل: الآية ٦٢.

(٢) «الجواب الكافي»: (ص ١٣).

والمبتلى حين يتوجه إلى الله بالدعاء لا بد أن يتذكر ويستحضر أنواع البتلاء، وأسباب التخاذل، وثمار الابتلاء - وهي موضوع هذا البحث - فيسأل الله أن يعافيه من الأنواع التي هو واقع فيها، وأن يكفيه شر ما لم يقع فيه، وأن يرزقه الثبات والصبر والاحتساب، وأن يكون هذا البلاء مطهرة لذنوبه ورفعة لدرجاته، ومع هذا كله لا بد أن يكون القلب حاضراً قويًا موقنًا بالإجابة، محسنًا الظن بالله تعالى، مع انتفاء موانع الإجابة.

قال ابن القيم رحمه الله: «والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط؛ فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلَّف واحدٌ من هذه الثلاثة تخلف التأثير. فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر»[1].

وعمومًا فالدعاء ركيزة وعامل مهم في الثبات عند الابتلاء؛ يبعث في النفس طمأنينة وراحة تعين على الصبر، والله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يدعوه إذا نزل بهم البلاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ

(١) «الجواب الكافي»: (ص ٢٠).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٤٢، ٤٣.

فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[١].

إذًا فلا ينبغي أن يُغفل عن الدعاء عند الابتلاء؛ فالله قد لام تلك الأمم على هذا الصنيع، ومدح قوم يونس لما أنابوا إليه؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٢].

١٣- هوان المصيبة في ذات الله:

قال خبيب بن عدي رضي الله عنه وهو يجود بروحه في سبيل الله، لما صلبه المشركون في مكة:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلـه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق؛ قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، فقوى قلبي»[٣].

وقال عمران بن عبدالله الخزاعي: «أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب»[٤].

قال ابن حجر: «وجه عمر رضي الله عنه جيشًا إلى الروم وفيهم عبدالله ابن حذافة السهمي فأسروه، فقال له ملك الروم: تنصّر أشركك

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٧٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٨.

(٣) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٢٤١).

(٤) «المحن»: (ص ٣١٤).

في ملكي، فأبى، فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء، وأغلي عليه، وأمر بإلقاء أسير فيها، فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصّر، فلما ذهبوا به بكى، قال ردوه، فقال: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب وقال: قبل رأسي وأنا أخلي عنك، فقال: وعن جميع المسلمين: قال: نعم، فقبل رأسه فخلى بينهم، فقدم على عمر فقام فقبل رأسه»[1].

١٤- مصاحبة خيار الناس:

وخاصةً أهل الثبات، والاستعانة بآرائهم وتجاربهم وإرشاداتهم وقت البلاء والصحبة الصالحة مطلب مهم وإن شابها ما يجرح النفس ولا يوافق الهوى، فقد قال رجل للحسن البصري: إنا نصحب أقوامًا يخوفوننا حتى تكون قلوبنا كقلوب الطير، فقال الحسن: لأن تصحب أناسًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب ناسًا يؤمنونك حتى تدرك خوفًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا﴾[2].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله - عن تفسير هذه الآية: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق،

---

(١) «الإصابة»: (٢/ ٢٢٨).

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم: أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها»[1].

ومما يدلنا على فوائد الصحبة الصالحة وأهميتها أن غيابها يؤدي إلى أضرار منها:

١- انفراد الشيطان بالعبد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

٢- عدم وجود من يوجه وينصح ويعظ عند حصول التقصير في الطاعات والعبادات، وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الإيمان ومن ثم عدم الثبوت عند البلاء.

٣- عدم وجود من يعين على الثبات في مواجهة البلاء إذا نزل، سواءً برأيه ومشورته، أو بنصحه وتذكيره، أو بنفسه وماله .. إلخ.

٤- غياب الأسوة والقدوة من الذين وقع بهم البلاء فصبروا وثبتوا فتكون صحبتهم فرصة للتعلم منهم كيف يكون الثبات.

كما أن غياب الأسوة والقدوة يؤدي بالمرء إلى قلة البذل والعطاء والعمل لهذا الدين، وهذا بدوره يقلل من فرصة الثبات، وهو ما سنتحدث عنه في النقطة التالية.

---

(١) «تفسير ابن السعدي»: (٢/ ١١٣).

١٥- العمل للدين:

هذا العامل مهم جدًا وأثره بالغ بلا شك.

إن من المسلم به أنه لو بنى رجل بيتًا بذل فيه وقته وجهده وماله، وأحبه وارتاح له، ثم جاءه من يساومه على هذا البيت بثمن قليل، أو هدده بأخذه أو النيل منه أو غير ذلك من أنواع الأذى، فإن هذا الرجل لن يتنازل ولن يستسلم ولو كلَّفه هذا الموقف الكثير. وكيف يتنازل عن هذا البيت وهو بالنسبة له كل شيء، بذل فيه ماله وجهد ووقته، أما لو كان هذا البيت لم يكلف شيئًا يذكر لا مالاً ولا جهدًا ولا وقتًا، ثم جاء من يساوم عليه أو يهدد باغتصابه، فإن صاحبه سيتنازل عنه بأسرع وقت كي يدفع عن نفسه المشكلات، وقل مثل هذا في العمل لأجل هذا الدين العظيم.

بقدر ما يبذل الإنسان لهذا الدين من الوقت والجهد والمال والعاطفة، بقدر ما يكون عنده غاليًا وبقدر ما يثبت عليه، ولا يتنازل ولا عن جزئية منه.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوفقه للصبر والثبات؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وهذه الآية هي خاتمة سورة العنكبوت التي افتتحت بذكر البلاء والفتنة.

يقول سيد قطب رحمه الله: «ويختم السورة بصورة الفريق الآخر،

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه، ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس وفتنة الناس؛ الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم؛ إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء»[1].

ج - عوامل نفسية:

ومن هذه العوامل:

١- استعداد النفس لمواجهة الابتلاء والصبر عليه وتوطينها على ذلك:

وهذا لا يتأتى إلا بدراسة هذا الموضوع من جوانبه كلها مع استحضار الأمثلة من صبر السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢- النفسية المتزنة:

التي تملك عاطفتها، والتي تزن الأمور بموازينها؛ فلا تعظم الأمر الصغير، ولا تقلل من شأن الأمر الكبير، ولا تأخذها العاطفة في الأمور الحرجة فتجعلها تتخذ قراراً لا يوافق الصواب، بل تتسم بالأناة والحلم والتريث والتعقل والتفكير ثم اتخاذ القرار.

ومما يميز هذه النفسية: بُعد النظر، والإعداد للمستقبل، والتخطيط البعيد، وإلقاء البذرات التي يرجى نماؤها ولو بعد حين.

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٥٢).

٣- مقدار الثقة بالمبدأ والاقتناع به:

ومقدار الاستعداد للتضحية من أجله، والعزيمة القوية التي لا تلين:

فاعصفي يا رياح بالدرب هولاً أو تأني فعزمتي لا تزول

د - عوامل اجتماعية واقتصادية:

إن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للفرد المسلم يؤثر ولاشك في مواقفه وخطواته؛ ومن أمثلة هذه العوامل:

١- توثيق العلاقات الاجتماعية مع الأرحام والأقارب:

وهذا له عدة فوائد:

(أ) رضى الله سبحانه وتعالى وطول العمل وسعة الرزق.

(ب) الأقارب يكونون عونًا في كفالة الأولاد والعناية بهم، وهذا يجعل المسلم يطمئن على أبنائه ويثبت في موقفه.

(جـ) الأقارب يكونون عونًا في توفير العمل وطلب الرزق، فيما لو ضُيّق على الإنسان في رزقه.

(د) الشعور النفسي بمشاركة الغير وحرصهم وهذا يزيد من فرص الثبات.

٢- اتخاذ الأسباب الشرعية في تأمين الرزق:

مع عدم المبالغة، وإدراك أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها، وهذا يجعل تسلط الأعداء على المسلم بفصله من عمله أو مصادرة ماله لا يعني شيئًا كثيرًا؛ لأن عنده مصادر أخرى للرزق كلما أُقفِل عليه باب سلك بابًا آخر.

هـ - عوامل جبلية:

إن الله سبحانه لما خلق الخلق قسم أرزاقهم بحكمته وعدله التامين، ومما قسمه عليهم: قوة قلوبهم وأبدانهم، وصبرهم، وشدتهم في الحق والجهر بكلمته، والجرأة والشجاعة والإقدام؛ فكل هذه المحامد إنما هي في الأصل مواهب إلهية يهبها من يشاء ويحرمها من يشاء، ولكن هذا لا يعني أنه ليس فيها شيءٌ مكتسب. بل يستطيع الإنسان أن يتصف بهذه الصفات ويتربى عليها - إلى حد ما - وإن لم يكن أصلاً ممن برز فيها، لكن لا يخلو إنسان من بذرة وأصلٍ لكل منها.

وعلى ما سبق يشهد حديث رسول الله ﷺ الذي سبق معنا عند حديثنا عن الصبر؛ وهو قوله: «**ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله ..**».

والحاصل أن العوامل الجبلية لها دورها لكنها ليست كل شيء.

و - عوامل معرفية:

وتشمل:

١- الاطلاع والعلم بهذا الباب العظيم:

أي (الابتلاء وعوامل الثبات)؛ فمن علم أنواع الابتلاء سهل عليه تمييزها والحذر مما ينفع منه الحذر، ومن علم عوامل الثبات سارع إلى تطبيقها وتحصيلها وإعداد النفس بالتربي عليها قبل مواجهة البلاء.

٢- وضوح الأهداف الدعوية، وتمييز المرحلة.

٣- معرفة سنة الصراع بين الحق والباطل.

٤- معرفة فقه الابتلاء وأحكامه:

مثل: حد الإكراه، حكم الحلف بالله كاذبًا، الحلف بالطلاق والتطليق مكرهًا، حدود المداراة، حكم تمني الموت، حكم التكلم بكلمة الكفر حال الإكراه وأيهما أفضل الصبر والموت أو النطق بكلمة الكفر؟ وهل يختلف باختلاف الأشخاص؟، حكم تمني نزول البلاء.

ونسوق فيما يلي شيئًا من كلام أهل العلم حول هذه المسائل؛ وذلك فيما نقله الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ...**﴾[1] الآية. حيث يقول:

«**المسألة الثانية:** قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**﴾ هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه؛ قال ابن عباس: أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبًا وبلالاً وخبابًا وسالمًا فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت، وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا - فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال له: (**كيف تجد قلبك؟**) قال: مطمئن بالإيمان. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(فإن عادوا فعد» . .

الثالثة: لما سمح الله عز وجل بالكفر به - وهو أصل الشريعة - عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلّها؛ فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتب عليه حكم؛ وبه جاء الأثر المشهور عن النبي ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» الحديث. والخبر وإن لم يصح سنده فإن معناه صحيح باتفاق من العلماء؛ قاله القاضي أبو بكر بن العربي، وذكر أبو محمد عبدالحق أن إسناده صحيح؛ قال: وقد ذكره أبو بكر الأصيلي في الفوائد وابن المنذر في كتاب الإقناع.

الرابعة: أجمع أهل العلم على أن من أُكرِه على الكفر حتى خَشِيَ على نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبُه مطمئن بالإيمان، ولا تَبِين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر؛ هذا قول مالك والكوفيين والشافعي؛ غير محمد بن الحسن فإنه قال: إذا أظهر الشرك كان مرتداً في الظاهر، وفيما بينه وبين الله تعالى على الإسلام، وتَبِين منه امرأته ولا يصلَّى عليه إن مات، ولا يرِث أباه إن مات مسلمًا، وهذا قول يرده الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**﴾ الآية. وقال: ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾. وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ الآية. وقال: ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ**﴾ الآية. فعذر الله المستضعفين الذين يمتنعون من

ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفًا غير ممتنع من فعل ما أمر به؛ قاله البخاري.

الخامسة: ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الرخصة إنما جاءت في القول، وأما في الفعل فلا رخصة فيه، مثل أن يكرهوا على السجود لغير الله أو الصلاة لغير القبلة؛ أو قتل مسلم أو ضربه أو أكل ماله، أو الزنى وشرب الخمر وأكل الربا؛ يروى هذا عن الحسن البصري رضي الله عنه، وهو قول الأوزاعي وسُحْنون من علمائنا. وقال محمد بن الحسن: إذا قيل للأسير اُسجد لهذا الصنم وإلا قتلتك. فقال: إن كان الصنم مقابل القبلة فليسجد وتكون نيته لله تعالى، وإن كان لغير القبلة فلا يسجد وإن قتلوه. والصحيح أنه يسجد وإن كان لغير القبلة، وما أحراه بالسجود حينئذ؛ ففي الصحيح عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. في رواية: ويُوتِر عليها، غير أنه لا يصلّي عليها المكتوبة. فإذا كان هذا مباحًا في السفر في حالة الأمن لتعب النزول عن الدابة للتنفل فكيف بهذا؟. واحتج من قصر الرخصة على القول بقول ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عنّي سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكلّما به. فقصَر الرخصة على القول ولم يذكر الفعل، وهذا لا حجة فيه؛ لأنه يحتمل أن يجعل الكلام مثالا وهو يريد أن الفعل في حكمه. وقالت طائفة: الإكراه في الفعل

والقول سواء إذا أسرّ الإيمان. روى ذلك عن عمر بن الخطاب ومكْحُول، وهو قول مالك وطائفة من أهل العراق. روى ابن القاسم عن مالك أن من أكره على شرب الخمر وترك الصلاة أو الإفطار في رمضان، أن الإثم عنه مرفوع.

السادسة: أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بجلد أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحلّ له أن يَفْدِي نفسه بغيره، ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

واختلف في الزنى، فقال مُطَرِّف وأصبغ وابن عبدالحكم وابن الماجِشون: لا يفعل أحد ذلك، وإن قُتل لم يفعله، فإن فعله فهو آثم ويلزمه الحدّ؛ وبه قال أبو ثور والحسن. قال ابن العربي: الصحيح أنه يجوز الإقدام على الزنى ولا حدّ عليه، خلافا لمن ألزمه ذلك؛ لأنه رأى أنها شهوة خُلقية لا يتصوّر الإكراه عليها، وغفل عن السبب في باعث الشهوة وهو الإلجَاء إلى ذلك، وهو الذي أسقط حكمه، وإنما يجب الحَدّ على شهوة بعث عليها سبب اختياري، فقاس الشيء على ضده، فلم يحل بصواب من عنده. وقال ابن خُوَيْزِمَنْدَاد في أحكامه: اختلف أصحابنا متى أكره الرجل على الزنى، فقال بعضهم: عليه الحدّ؛ لأنه إنما يفعل ذلك باختياره. وقال بعضهم: لا حدّ عليه. قال ابن خويزمنداد: وهو الصحيح. وقال أبو حنيفة: إن أكرهه غير السلطان حُدّ، وإن أكرهه السلطان فالقياس أن يحدّ، ولكن أستحسن ألا يحدّ. وخالفه صاحباه فقالا:

لا حدّ عليه في الوجهين، ولم يراعوا الانتشار وقالوا: متى علم أنه يتخلص من القتل بفعل الزنى جاز أن ينتشر. قال ابن المنذر: لا حدّ عليه، ولا فرق بين السلطان في ذلك وغير السلطان.

السابعة: اختلف العلماء في طلاق المكره وعتاقه؛ فقال الشافعي وأصحابه: لا يلزمه شيء. وذكر ابن وهب عن عمر وعليّ وابن عباس أنهم كانوا لا يرون طلاقه شيئًا. وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس والحسن وشُرَيح والقاسم وسالم ومالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور. وأجازت طائفة طلاقه؛ رُوي ذلك عن الشَّعبيّ والنَّخَعِي وأبي قلابة والزهريّ وقتادة، وهو قول الكوفيين. قال أبو حنيفة: طلاق المكره يلزم؛ لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا، وليس وجوده بشرط في الطلاق كالهازل. وهذا قياس باطل؛ فإن الهّازل قاصد إلى إيقاع الطلاق راض به، والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق، وقد قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات». وفي البخاري: وقال ابن عباس فيمن يكرهه اللصوص فيطلق: ليس بشئ؛ وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن. وقال الشعبي: إن أكرهه اللصوص فليس بطلاق، وإن أكرهه السلطان فهو طلاق. وفسّره ابن عيينة فقال: إن اللصّ يُقدِم على قتله والسلطان لا يقتله.

الثامنة: وأما بيع المكره والمضغوط فله حالتان.

الأولى: أن يبيع ما له في حق وجب عليه؛ فذلك ماضٍ سائغٌ لا رجوع فيه عند الفقهاء؛ لأنه يلزمه أداء الحق إلى ربه من غير

المبيع، فلما لم يفعل ذلك كان بيعه اختياراً منه فلزمه. وأما بيع المكره ظلمًا أو قهراً فذلك بيع لا يجوز عليه، وهو أولى بمتاعه يأخذه بلا ثمن، ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم؛ فإن فات المتاع رجع بثمنه أو بقيمته بالأكثر من ذلك على الظالم إذا كان المشتري غير عالم بظلمه. قال مُطَرِّف: ومن كان من المشترين يعلم حال المكره فإنه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب، كلما أحدث المبتاع في ذلك من عتق أو تدبير أو تحبيس فلا يلزم المكره، وله أخذ متاعه. قال سُحْنون: أجمع أصحابنا وأهل العراق على أن بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز. وقال الأبْهَرِيّ: إنه إجماع.....

الخامسة عشرة: قال ابن العربي: ومن غريب الأمر أن علماءنا اختلفوا في الإكراه على الحنث هل يقع به أم لا، وهذه مسألة عراقية سرت لنا منهم، لا كانت هذه المسألة ولا كانوا! وأي فرق يا معشر أصحابنا بين الإكراه على اليمين في أنها لا تلزم وبين الحنث في أنه لا يقع! فاتقوا الله وراجعوا بصائركم ولا تغتروا بهذه الرواية فإنها وصمة في الدراية.

السادسة عشرة: إذا أكره الرجل على أن يحلف وإلا أخذ له مال كأصحاب المكس وظلمة السعاة وأهل الاعتداء؛ فقال مالك: لا تَقِيّة له في ذلك، وإنما يدرأ المرء بيمينه عن بدنه لا ماله. وقال ابن الماجشون: لا يحنث وإن درأ عن ماله ولم يخف على بدنه. وقال ابن القاسم

بقول مطرّف، ورواه عن مالك، وقاله ابن عبدالحكم وأصبغ.

قلت: قول ابن الماجشون صحيح؛ لأن المدافعة عن المال كالمدافعة عن النفس؛ وهو قول الحسن وقتادة وسيأتي. وقال رسول الله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**» وقال: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». وروى أبو هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**» قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**». قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**» خرجه مسلم. وقد مضى الكلام فيه.

وقال مطرّف وابن الماجشون: وإن بدر الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل أن يُسألها ليَذُبّ بها عما خاف عليه من ماله وبدنه فحلف له فإنها تلزمه. وقاله ابن عبدالحكم وأصبغ. وقال أيضًا ابن الماجشون فيمن أخذه ظالم فحلف له بالطلاق ألبتّة من غير أن يحلفه وتركه وهو كاذب، وإنما حلف خوفًا من ضربه وقتله وأخذ ماله: فإن كان إنما تبرع باليمين غلبةَ خوف ورجاءَ النجاة من ظلمه فقد دخل في الإكراه ولا شيء عليه، وإن لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث.

السابعة عشرة: قال المحققون من العلماء: إذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له أن يجريه على لسانه إلا مجرى المعاريض؛ فإن في المعاريض لمندوحة عن الكذب. ومتى لم يكن كذلك كان كافرًا، لأن المعاريض لا سلطان للإكراه عليها.

مثاله: أن يقال له: اكفر بالله فيقول باللاهي؛ فيزيد الياء. وكذلك

إذا قيل له: اكفر بالنبيّ فيقول: هو كافر بالنبيّ، مشدّدا؛ وهو المكان المرتفع من الأرض، ويطلق على ما يعمل من الخوص شبه المائدة، فيقصد أحدهما بقلبه ويبرأ من الكفر ويبرأ من إثمه. فإن قيل له: اكفر بالنبيء (مهموزًا) فيقول هو كافر بالنبيء يريد بالمخبر، أي مخبر كان كطليحة ومُسَيْلمة الكذاب. أو يريد به النبيء الذي قال فيه الشاعر:

فأصبح رَتْماً دُقاق الحَصَى مكان النبيء من الكاثب

الثامنة عشرة: أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة. واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له؛ فقال أصحاب مالك: الأخذ بالشدّة في ذلك واختيار القتل والضرب أفضل عند الله من الأخذ بالرخصة. ذكره ابن حبيب وسُحنون. وذكر ابن سُحنون عن أهل العراق أنه إذا تُهدّد بقتل أو قطع أو ضرب يخاف منه التلف فله أن يفعل ما أكره عليه من شرب خمر أو أكل خنزير؛ فإن لم يفعل حتى قتل خِفنا أن يكون آثما لأنه كالمضطر. وروى خَبّاب بن الأرَتّ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بُرْدَةً في ظل الكعبة فقلت: ألا تَسْتَنْصِر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يَصُدّه ذلك عن دينه. والله لَيَتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوْت لا يخاف إلا الله**

والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون». فوَصْفُهُ ﷺ هذا عن الأمم السالفة على جهة المدح لهم والصبر على المكروه في ذات الله، وأنهم لم يكفروا في الظاهر وتبطنوا الإيمان ليدفعوا العذاب عن أنفسهم. وهذه حجة من آثر الضرب والقتل والهوان على الرخصة والمقام بدار الجنان، وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الأخدود إن شاء الله تعالى[1].

---

(١) وهذا ما نص ما ذكره في تفسير سورة البروج: (٢٠/ ٢٩٣):

(**مسألة:** قال علماؤننا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه من وَحَّد قبلهم من الشدائد؛ يُؤَنِّسهم بذلك. وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسَّوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صِغرِ سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشِر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم. ابن العربي: وهذا منسوخ عندنا، حَسْب ما تقدم بيانه في سورة «النحل».

قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى؛ قال الله تعالى مخبرا عن لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [سورة لقمان: الآية ١٧]، وروى أبو سعيد الخُدري أن النبي ﷺ قال: «**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**» [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب]، ورَوَى ابن سنجرٍ (محمد بن سنجر) عن أميمة مولاة النبي ﷺ قالت: كنت أوضئ النبي ﷺ، فأتاه رجل، قال: أوصني. فقال: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطِّعت أو حُرِّقْت بالنار ..**» الحديث.

قال علماؤنا: ولقد امتُحِن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصَّلْب والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك. ويكفيك قصة عاصم وخُبيب وأصحابهما وما لَقُوا من الحروب والمِحَن والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك، وقد مضى في «النحل» أن هذا إجماع ممن قوي في ذلك، فتأمله هناك).

وذكر أبو بكر محمد بن محمد بن الفرج البَغْدادي قال: حدثنا شريح بن يونس عن إسماعيل بن إبراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن أن عيوناً لمسيلمة أخذوا رجلين من أصحاب النبي ﷺ فذهبوا بهما إلى مسيلمة، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. فخلّى عنه. وقال للآخر: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أنا أصم لا أسمع؛ فقدّمه وضرب عنقه. فجاء هذا إلى النبي ﷺ فقال: هلكتُ! قال: «**وما أهلكك**»؟ فذكر الحديث، قال: «**أمّا صاحبك فأخذ الثقة، وأما أنت فأخذت بالرخصة على ما أنت عليه الساعة**»؟ قال: أشهد أنك رسول الله. قال: «**أنت على ما أنت عليه**». الرخصة فيمن حلفه سلطان ظالم على نفسه أو على أن يدله على رجل أو مال رجل؛ فقال الحسن: إذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر يمينه؛ وهو قول قتادة إذا حلف على نفسه أو مال نفسه. وقد تقدّم ما للعلماء في هذا. وذكر موسى ابن معاوية أن أبا سعيد بن أشرس صاحب مالك استحلفه السلطان بتونس على رجل أراد السلطان قتله أنه ما آواه، ولا يعلم له موضعا؛ قال: فحلف له ابن أشرس، وابن أشرس يومئذ قد يعلم موضعه وآواه فحلفه بالطلاق ثلاثا، فحلف له ابن أشرس. ثم قال لامرأته: اعتزلي فاعتزلته؛ ثم ركب ابن أشرس حتى قدم على البهلول بن راشد القيروان، فأخبره بالخبر؛ فقال له البهلول: قال مالك إنك

منتديات الفلوجة الإسلامية

حانث. فقال ابن أشرس: وأنا سمعت مالكا يقول ذلك، وإنما أردت الرخصة، أو كلام هذا معناه؛ فقال له البهلول بن راشد: قال الحسن البصري إنه لا حنث عليك. قال: فرجع ابن أشرس إلى زوجته وأخذ بقول الحسن. وذكر عبد الملك بن حبيب قال: حدثني معبد عن المسيّب بن شريك عن أبي شيبة قال: سألت أنس بن مالك عن الرجل يؤخذ بالرجل، هل ترى أن يحلف ليقيه بيمينه؟ فقال نعم؛ ولأن أحلف سبعين يمينًا وأحنث أحبّ إليّ أن أدُلّ على مسلم. وقال إدريس بن يحيى: كان الوليد بن عبدالملك يأمر جواسيس يتجسسون الخلق يأتونه بالأخبار، قال: فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حَيْوَة فسمع بعضَهم يقع في الوليد، فرفع ذلك إليه فقال: يا رجاء! أُذْكَرُ بالسوء في مجلسك ولم تغيِّر؟ فقال: ما كان ذلك يا أمير المؤمنين؛ فقال له الوليد: قل: آلله الذي لا إله إلا هو، قال: آلله الذي لا إله إلا هو؛ فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطًا، فكان يلقى رجاء فيقول: يا رجاء، بك يستقى المطر، وسبعون سوطًا في ظهري! فيقول رجاء: سبعون سوطًا في ظهرك خير لك من أن يقتل رجل مسلم.

التاسعة عشرة: واختلف العلماء في حدّ الإكراه؛ فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ليس الرجل آمن على نفسه إذا أخفته أو أوثقته أو ضربته. وقال ابن مسعود: ما كلام يدرأ عنّي سوطين إلا كنتُ متكلمًا به. وقال الحسن: التقية جائزة للمؤمن

إلى يوم القيامة؛ إلا أن الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقيّة. وقال النَّخَعِيّ: القيد إكراه، والسجن إكراه. وهذا قول مالك، إلا أنه قال: والوعيد المخوّف إكراه وإن لم يقع، إذا تحقق ظلم ذلك المتعدّي وإنفاذه لما يتوعّد به، وليس عند مالك وأصحابه في الضرب والسجن توقيت، إنما هو ما كان يؤلم من الضرب، وما كان من سجن يدخل منه الضيق على المكره. وإكراه السلطان وغيره عند مالك إكراه. وتناقض الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد إكراهًا على شرب الخمر وأكل الميتة؛ لأنه لا يخاف منهما التلف. وجعلوهما إكراها في إقراره لفلان عندي ألف درهم. قال ابن سُحنون: وفي إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه ما يدلّ على أن الإكراه يكون من غير تلف نفس. وذهب مالك إلى أن من أُكره على يمين بوعيد أو سجن أو ضرب أنه يحلف ولا حنث عليه؛ وهو قول الشافعي وأحمد وأبي ثور وأكثر العلماء . . .»[1] ا.هـ.

وأما عن مسألة تمني نزول البلاء:

فقد ورد النهي عن ذلك في قوله ﷺ: **(لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا)**[2]. قال ابن بطال: «حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن»[3].

---

(١) «تفسير القرطبي»: (١٠/ ١٨٠-١٩٠) مختصراً.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد، باب (لا تتمنوا لقاء العدو): ح (٣٠٢٥).

(٣) «فتح الباري»: (٦/ ١٨١).

وأما حكم تمني الموت:

فقد ورد في ذلك حديثان:

الأول: قوله ﷺ: **(لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)**[1].

والثاني: قوله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: ياليتني كنت مكان صاحب هذا القبر. وليس به الدِّين إلا البلاء)**[2].

ولا تعارض في الحديثين بين جواز تمني الموت من شدة الفتن وبين ما ورد في النهي عن تمني الموت، وقد أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله وجمع فيه أقوال العلماء وعلق عليها فقال: «قال ابن عبدالبر: ظنَّ بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك، وإنما في هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه لا لضرر ينزل في الجسم.

كذا قال، وكأنه يريد أن النهي عن تمني الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان لضرر يتعلق بالدين فلا. وقد ذكره عياض احتمالاً أيضاً. وقال غيره: ليس بين هذا الخبر وحديث النهي عن تمني الموت معارضة؛ لأن النهي صريح وهذا إنما فيه إخبار عن

---

(١) البخاري، كتاب المرضى، ح (٥٦٧١)، مسلم، كتاب الذكر والدعاء، ح (٢٦٨٠).

(٢) مسلم، كتاب الفتن، باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ..)، ح (١٥٧).

شدة ستحصل ينشأ عنها هذا التمني، وليس فيه تعرض لحكمه، وإنما سيق للإخبار عما سيقع.

قلت[١]: ويمكن أخذ الحكم من الإشارة في قوله: (**وليس به الدِّين إنما هو البلاء**)، فإنه سيق مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف»[٢].

وقد أفاد النووي رحمه الله بأن لا كراهة في ذلك، وقد فعله خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم[٣]؛ منهم: عمر بن الخطاب، وعيسى الغفاري، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم[٤].

❑ ❑ ❑

(١) القائل: هو الحافظ بن حجر كما يظهر والله أعلم.

(٢) «الفتح»: (١٣/ ٨١).

(٣) «شرح النووي على مسلم»: (١٧/ ٨).

(٤) «الفتح»: (١٣/ ٨١).

لماذا لا نثبت ؟

إن أسباب عدم الثبات عند الابتلاء كثيرة، ونستطيع تلخيصها بأنها انتفاء وغياب عوامل الثبات، أو نقصانها والإخلال بها، لكن سنركز هنا على جوانب لم يسبق ذكرها أو عرضت على عجالة.

فأسباب عدم الثبات هي:

١- غياب عوامل الثبات:

أو الخلل فيها سواءً كانت عوامل تربوية أو جبلية أو نفسية ... إلخ.

٢- الضعف الجبلي:

فالناس معادن وهم متفاوتون في مقدار تحملهم وصبرهم وقوة قلوبهم، وقلة خوفهم وهلعهم، وهو شيء فطرهم الله عليه، ومع ذلك فإن استسلام المرء لهذه الجبلة وعدم محاولة اكتساب مواهب أخرى يؤدي إلى الضعف وعدم الثبات، وقد سبقت الإشارة إلى أن جزءًا كبيرًا من تلك الجوانب والصفات الحسنة يمكن اكتسابه والتربي والتمرن عليه، ومن يتصبر يصبره الله.

٣- الجهل بوسائل الأعداء:

ومداخلهم وأساليبهم وألاعيبهم وتلبيساتهم يقود الإنسان إلى أن يرغم على عدم الثبات.

فقد يلفقون له التهم ويروجون لها وهو منها بريء، ثم يساومونه عليها: إما أن يتنازل عن بعض ما عنده من الحق أو كله ويعفون عنه، أو يفضحونه على رؤوس الملأ، ويشوهون صورته.

وقد ينسبون إلى صديق له يثق فيه أو أخٍ عزيزٍ عليه - قد نزل به البلاء مثله - ينسبون له كلامًا فيه اتهام له هو واعترافات من صديقه وأخيه عليه هو، ثم يطالبونه بالإقرار بتلك «الحقائق» والاعترافات وهم كاذبون، ويفعلون مع أخيه مثل فعلهم به.

وقد يغرونه بالمال أو المنصب أو يخوفونه بالفصل من العمل. كل هذا كي يتنازل أو ترتخي عزيمته عن الجد والعمل.

إن معرفة وسائل الأعداء وخططهم، وكذلك جوانب الشر كله أمرٌ معرفي لتفادي الوقوع في تلك الشرور، وقد قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

٤- عدم ضبط اللسان:

وهذا ناتج عن عدم الشعور بمسؤولية الكلمة وعواقبها والتهاون في ذلك، فقد يقول الكلمة مازحًا في مجلس فيه أخلاط، أو يقولها ظنًا أو تخرصًا، وقد يقولها على سبيل التورية ثم تحمل محامل أخرى.

أو يقول كلامًا في حين ويقول غيره في حين آخر.

وكل هذه الأمور وأمثالها تجعل الإنسان يؤخذ بجريرة الكلمة، ويبتلى ويفتن بسببها.

٥- الأنانيـــة :

حيث لا يبالي إذا سلم هو ماذا أصاب غيره. وهذا الخُلُق غاية في الدناءة والوقاحة، ومن يتصف بهذا الوصف إنما يعيش لنفسه.

قال سيد قطب رحمه الله: «إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا، ولكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا»[(١)].

ولا شك أن هذه النفسية وهذه الروح داعية إلى التخاذل والتنازل وشراء سلامة النفس بأي ثمن وإن كان الثمن الدعوة ورجالها، وهذه الصفة السيئة كذلك قد تؤدي بالإنسان إلى إلقاء التبعات على الغير تخرصًا وطلبًا للنجاة والسلامة.

٦- ضعف القناعة بالغاية والهدف :

وهذا هو المشاهد عند ما يسمى: الشارع الإسلامي أو العامة؛ إذ يفرح الداعية عندما يرى أنهم متحمسون للإسلام والدعوة ومتوجهون إلى الخير كله، لكنه وعند نزول أدنى ابتلاء يكتشف أن ذلك الحماس إنما كان عاطفة فحسب، ليس وراءها إدراك لحجم المسؤولية والتضحية والبذل والعطاء الذي يتطلبه ذلك الهدف، ومثلهم رخو الدين وضعيف الالتزام وقليل التربية.

لذلك تجد هؤلاء كلهم يتخاذلون عندما تلوح في الأفق رائحة الابتلاء والاختبار، وكل منهم يؤثر نفسه ولا يقدم أي تضحية، وسرعان ما يتراجعون ظنًا منهم أن هذا الهدف لا يستحق كل هذه

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٦/ ٣٧٤٤).

التضحية، وهذا ناتج عن ضعف القناعة بالهدف، وإلا لو كان الإنسان قد اقتنع بالهدف وأهميته وحتمية تحقيقه لما توانى لحظة في البذل له، ولما تنازل مهما كان الحال.

لذلك نجد أن رسوخ الأقوياء في سبيل تحقيق الهدف يزيد من قناعة العامة لما يرونه من الأمثلة الحية، وقد مرت الإشارة إلى هذا من قبل باختصار، وإليك التفصيل فيها:

٧- الشعور بأن الثبات والإصرار لا يقدم للدعوة شيئاً:

فمن أجل أي شيء يضحي؟ فهذا أيضًا ناتج عن ضعف القناعة بالهدف، وهو في ذات الوقت وهم، كما أنه مصادمة للواقع المشاهد والمحسوس.

على الإنسان أن يسائل نفسه: بأي شعور وبأي عزيمة ونفسية يخرج من فرغ من قراءة سيرة أحد الأعلام الذين نزل بهم البلاء فصبروا وثبتوا على الحق؟ هذا مجرد مثال لأثر القراءة فكيف بالمعاينة؟!

إن الدهماء والعامة إذا رأوا من يضحي ويتحمل البلاء في سبيل الله، يقولون عنه لأول وهلة إنه مجنون ومغامر، لكنهم إذا رجعوا إلى عقلهم وهدأت الأمور ترحموا عليه ودعوا له ورأوا أنه قد حاز ما لم يحوزوه، ورأوا أن فعله ذاك كان عين العقل والحكمة، وكلهم يتمنى أن لو كان مثله، ويتمنى أن يهبه الله مثل تلك الشجاعة في الحق.

ثم إن ثبات الأقوياء وصبرهم يشد عزم من هو دونهم في سلك الدعوة والجهاد ممن لم يتلق بعد تربية كافية، فيجعله يصرّ

أيضاً على الثبات. لكن إذا غابت عنه تلك الأسوة ورأى الكبار يتساقطون ويتنازلون فإنه سرعان ما يلحق بهم. ومن يجيل نظره في سيرة المصطفى ﷺ يرى أن الصحابة رضوان الله عليهم تأثروا كثيراً بمواقفه الفدائية في بدر، وأحد، وحنين وغيرها، فكان إقدامه عليه السلام يدفع الكثيرين للإقدام، وكان يقول قائلهم: أرواحنا دون روحك يا رسول الله.

وهناك محور ثالث وهو أن الثبات على الحق والصبر على الابتلاء يحرج المبطلين ويثني عزمهم ويفتّ في عضدهم، ويضيق صدورهم، ويبعث اليأس في قلوبهم من أن يحققوا مكسبًا. وكل ذلك بدوره يؤدي إلى تقلص دورهم وكف شرهم عن المسلمين، أما إذا رأوا أنهم كلما هددوا وأوعدوا خارت واستسلمت لهم رقاب المصلحين فإنهم سيزيدون من شرهم وتسلطهم.

وتلخيصاً لما سبق نقول:

إن الشعور بأن الثبات على الحق لا يقدم شيئًا للدعوة سبب من أسباب التخاذل والانهزام، وهو وَهْمٌ، والحق أن له فوائد عديدة منها:

١- تأثر العامة بالتضحيات وزيادة قناعتهم بالهدف وكرههم للباطل وأهله.

٢- تشجيع الصغار والمبتدئين وترسيخ معاني التضحية عندهم، ووضع القدوة لهم.

٣- إحراج أهل الباطل وتضييق حيلتهم وإلقاء اليأس في قلوبهم.

٨- الظن بأن تقديم الخدمات للخصم يخفف ما هو فيه من البلاء:

وهو وَهْمٌ أيضاً لأنه لا يعدو أن يكون أحد أمرين:

- هذا الخصم يطلب القليل ليتوصل إلى الكثير - كما هي العادة - ولا يتوقف عن طلب التنازلات والخدمات، لكنه لا يقدم بالمقابل للطرف الآخر أي مصلحة.
- وعلى فرض أن تقديم الخدمات للخصم يخفف بعض المعاناة فهذا خداع للنفس، لأنه شراء للدنيا بالآخرة، وهو طلب راحة الدنيا بالتنازل لأعداء الله في أمور لا تقبل التنازل.

٩- استعداد القلب لقبول الفتنة:

إن من ابتلي بقلب كقلوب الطير، لا ينتظر وقوع الفتنة والبلاء كي يستسلم، بل منذ أن تلوح مؤشرات - فحسب - أو تتردد أخبار لا يدري ما مدى صحتها تجده يرفع رايات الاستسلام ويعزم على التخاذل ويقرر أن يتنازل وينهزم لأنه قد أشرب قلبه الفتنة فلا يستطيع الوقوف أمامها.

عن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**)[1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، ح (١٤٤).

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أيضًا أن الفتنة تؤثر في العبد بقدر ما يستجيب قلبه لها فقال: (**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به**)[١].

١٠- الإصغاء لأراجيف المنافقين:

ذلك السلاح البتار الذي طالما سلَّه المنافقون منذ أيام النبي ﷺ إلى يومنا هذا؛ فهم دومًا يهولون الأمور، ويكبرون الصغير، ويخوفون المسلم من مغبة تمسكه بإسلامه، ويدعون إلى التنازل والمداهنة، وينشرون الشائعات ويزيدون فيها، ودورهم هذا بلاشك خطير، وله دور في عدم الثبات عند الفتن؛ قال تعالى واصفًا بعض أساليبهم: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[٢]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾[٣].

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الأسلوب الذي ينبغي أن نرد عليهم به فقال: ﴿**وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر: (٢٨٨٦).

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٤) سورة التوبة: الآية ٨١.

١١- استبطاء الفرج:

يؤدي بالإنسان إلى التراخي رويداً رويداً، والملل من الصبر على الابتلاء؛ وهذا ناتج عن الاستعجال في حصول إجابة الدعوة وهو ما حذرنا منه رسول الله ﷺ فقال: **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ فيقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي)**[١]، وفي رواية: **(لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل)**، قيل يا رسول الله: ما الاستعجال؟ قال: **(يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)**[٢].

وعلى المسلم أن يعلم أن الفرج قد يتأخر، وقد يكون بالموت في سبيل الله، وأن الدعاء قد يؤخر للآخرة، وقد يدفع به عن المرء بلاءً آخر، وقد يخفف البلاء ولا يرفعه.

وعلى المسلم أن يداوم على الصبر، والصبر على الصبر والمصابرة والتصبر، وأن تكون نظرته بعيدة، ويتذكر قول الحق تعالى: ﴿**فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣].

❑ ❑ ❑

(١) رواه البخاري: ح (٦٣٤٠)، ومسلم: ح (٢٧٣٥) واللفظ له.
(٢) رواه مسلم، في الذكر والدعاء: ح (٢٧٣٥).
(٣) سورة الروم: الآية ٤٧.

ثمار الابتلاء

إن من أقوى عوامل الثبات عند الابتلاء أن يكون المبتلى على علم بثمار الابتلاء وفوائده، ومن أجل ذلك نفرد هذه النقطة في فصل خاص.

وهذه الثمار لا تتأتى إلا لمن صبر عند البلاء، ومن هذه الثمار[1]:

١- معرفة عز الربوبية وقهرها، وذل العبودية وكسرها:

ألا وإن أشرف المقامات مقام العبودية لله رب العالمين، وهذا بدوره يزيد الإيمان، ويزيد العبد عزةً وقوة وصلابةً؛ لأنه يعلم أنه إنما يلجأ إلى الله العزيز العليم.

قال ابن القيم عند حديثه عن فوائد الابتلاء في غزوة أحد: «ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون ويكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون فهم عبيده حقًا، ليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية».

ثم قال: «ومنها أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا

---

(١) عقد ابن القيم رحمه الله تعالى في سفره العظيم «زاد المعاد في هدي خير العباد» فصلاً في بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد، وذكر فوائد وثمار كثيرة للابتلاء، اقتبسنا كثيراً منها. وكلامه مهم يستحق المراجعة.

وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر؛ فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[2]، فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجيره وينصره، كسره أولاً، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره»[3].

ثم إن نزول البلاء بالمؤمن بعدما كان مطمئنًا سعيدًا معافى يورث في قلبه تعظيم الرب سبحانه ومعرفة قدره وعظمته وقهره وبطشه وحكمته وعدله، وأنه يغير من حال إلى حال، وليس بين هذا وذاك إلا كلمة كن، والذي أنزل البلاء يرفعه بإذنه سبحانه.

٢- تجريد الإخلاص لله تعالى:

لاسيما في الأمور التي تظهر للناس؛ لأن المبتلى إذ صبر لوجه الله تعالى، ورفع إليه الشكاية لا لغيره، وتعلق قلبه به لا بما سواه، وكتم بلواه عن الناس فلم يعلموا بها، ولا بصبره عليها كان هذا هو عين الإخلاص. حتى إن بقية أعماله لتتأثر بهذا الإخلاص الصادق فتصطبغ بها، فتكون كلها لله وحده ليس للبشر فيها حظ أبدًا. وليس كالمحنة والبلاء محك يكشف ما في الصدور، ويصهر ما في القلوب، فينفي عنها الزيف والرياء، ويكشفها على حقيقتها بلا طلاء.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٥.

(٣) «زاد المعاد»: (٣/ ٢٢٠، ٢٢١).

٣- الإنابة والرجوع إلى الله وتصحيح المسار:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

إن القلب في أوقات الشدة والأزمات يكون أقرب إلى الله تعالى، منيبًا خاضعًا، راجيًا، والابتلاء كذلك يذكر بالله، ويصحح المسار، ويعدل الخطأ، ويلقن الإنسان دروسًا لا ينساها، ويكسر كبرياء النفس. وما غزوة أحد وما حدث فيها إلا شاهد على ما ذكرنا، وفي تعليقه على الغزوة يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «ومنها - أي من فوائد الابتلاء بالهزيمة - أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا، لطغت نفوسهم وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق؛ فلا يصلح عباده إلا السراء، والضراء، والشدة، والرخاء، والقبض والبسط؛ فهو المدبر، الآمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير».

ثم قال رحمه الله: «ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

والنصر والغنى طغيانًا، وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها، ومالكها، وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه»[١].

٤- محو الذنوب ورفع الدرجات وتمحيص القلوب:

وحسبك بهذه الثمرة، إنها وحدها لمن دواعي الصبر عند الابتلاء؛ لما يعلمه المسلم من الأدلة المتوافرة على أن الابتلاء والمصائب تكفر السيئات، وترفع الدرجات، حيث يبلغ العبد منزلة لا يبلغها بعلمه، وإليك طائفة من أحاديث النبي ﷺ تملأ القلوب بالرضا والعزم على الصبر على البلاء بل استعذابه:

قال رسول الله ﷺ: **(ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)**[٢].

ما أجمل أن يستشعر الإنسان هذا الحديث ويعيه؛ حتى الشوكة فيها أجر، فما بالك بما هو أكبر وأكثر. حقًا إن الإنسان ليحرم نفسه خيرًا كثيرًا إذا هو لم يصبر على البلاء، فخير له أن يصبر وكل أمر المؤمن له خير.

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، ح (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة، ح (٢٥٧٣).

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيرًا يصب منه)[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)[٣].

وقال ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[٤].

وعن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومنها أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، ح (٢٩٩٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب المرضى، ح (٥٦٤٥).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الزهد، ح (٢٣٩٦)، وحسنه الألباني: الصحيحة (١٢٢٠).

(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٥) سبق تخريجه: ص ٦٢.

بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها»[١].

٥- معرفة قدر نعمة العافية والتوجه لشكرها:

فإنه لا يعرف قدر النعمة إلا من يفقدها، فإذا عرف قدرها شكر الله عليها حق الشكر عند حصولها، والشكر حق الشكر مدعاة للمزيد من الخير. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢].

وبهذا يصبح البلاء مفتاحًا لحصول النعم؛ نعم الدنيا والآخرة، وكم لله من نعمة في طي البلايا.

٦- تذكر أحوال المبتلين من المسلمين والدعاء لهم ومساعدتهم:

وقد يكون بلاؤهم أشد؛ فمنهم من يقتل، ومن يجوع، ومن يعرى، ومن يشرَّد ويطرد، ومن يفقد أهله وولده وماله، ومن يفقد بصره أو يده، أو قدمه، ومنهم من يسجن ويعذب، فإذا نزل بالمسلم بلاء تذكر أمثاله في ذلك البلاء، وذاق ما ذاقوا، واكتوى بالنار التي صلوا بها، فينتج له من ذلك الوقوف معهم والدعاء لهم.

٧- صلابة عود المؤمن وتقوية الدعوة:

«النفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستفيق وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢٢١).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

عودها ويصلب، ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا، وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله وثقة فيما عنده من الحسنين النصر أو الأجر»[1].

نعم إنه كلما اشتد البلاء كلما قوي عود الدعوة واشتدت صلابته، وازداد المؤمنون إصرارًا، وتربية، وتضحية. لذلك ترى أن السابقين الأولين من الصحابة كانت تربيتهم وبذلهم، وجهادهم يختلف عن من بعدهم من الصحابة.

٨- تعظيم المبادئ:

زيادة البلاء تجعل العامل يعظم المبادئ التي هو عليها ويتعلق بها أكثر، وكلما قدم في رصيد تضحياته تضحية أخرى كان أصبر وأثبت، وأكثر رفضًا للتنازل والتخاذل، شحيحًا بدينه؛ كالحاج الذي جاء من بلاد بعيدة، أنفق ماله كله كي يصل إلى بيت الله، وتحامل على مرضه وكبر سنه وغير ذلك؛ فإنه مهما عرض له من عارض أثناء الحج فإنك لا تجد كإصراره على إتمام الحج - ولو كان الثمن حياته - لأنه قد بذل الشيء الكثير كي يحقق هذا الهدف فلا يمكن أن يتنازل عنه ولو مؤقتًا. وكلما زاد البلاء زاد البذل والعطاء، هذا الذي يجب أن يكون عليه العقلاء لا عكسه.

والدعوة تعز وتعلو بقدر ما يضحي أهلها في سبيلها، والعقائد الرخيصة يتخلى عنها أصحابها عند أول صدمة.

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٧٢١).

٩- التأثير في الناس وزيادة إقبالهم:

الذي يقع غالبًا أن كثرة الناس تقف متفرجة على الصراع بين المجرمين وأصحاب الدعوات، حتى إذا تضخم رصيد التضحيات والآلام في صف أصحاب الدعوات، وهم ثابتون على دعوتهم، ماضون في طريقهم، قالت الكثرة المتفرجة - أو شعرت - أنه لا يتمسك أصحاب الدعوة بدعوتهم على الرغم من التضحيات والآلام إلا أن في هذه الدعوة ما هو أغلى مما يضحون به وأثمن .. عندئذٍ يدخلون في دين الله أفواجًا.

١٠- تمحيص القلوب:

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير هي: ابتلاء ما في صدورهم؛ وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق. فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، والمنافق ومن في قلبه مرض لا بد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه. ثم ذكر حكمة أخرى وهي تمحيص ما في قلوب المؤمنين؛ وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع وميل النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى، فلو تركت في

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحض منه، فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء»[١].

١١- تقويم النفس ومراجعتها:

الابتلاء فرصة لتقويم النفس ومراجعتها في قدراتها على الصبر والتحمل، والجلد وشدة البأس، وقوة العزيمة والشكيمة، وفي إيجابياتها، وسلبياتها، وعملها؛ لأن الابتلاء قد يكون بسبب ذنب أو خطيئة كما مر معنا، فتكون فرصة للتذكر والتوبة؛ قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].

١٢- زيادة الإيمان والانتصار على الهوى والشيطان:

فإنه كلما صبر المؤمن وكلما زاد ابتلاؤه زاد قربه من الله وإيمانه بالقضاء والقدر، وأيضًا كلما صبر وصابر كان ذلك انتصاراً عظيمًا على الهوى ودحراً للشيطان، حتى إن الصبر ليستدعي الصبر كما أن الحسنة تنادي أختها.

١٣- إحباط كيد الكافرين وإهلاكهم:

سبق أن ذكرنا أن صبر المؤمن له ثقل عظيم على قلب الكافر مهما زاد في شدة البلاء، فهذه فائدة، والأخرى يقول عنها ابن القيم رحمه الله: «إن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.

قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم، مبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم، وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم، وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم وإحياء عزائمهم، وبين حسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾، فقد استويتم في القرح والألم وتباينتم في الرجاء والثواب كما قال: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2]، فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أُصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي»[3].

١٤- تميز الصف الإسلامي:

إن الجرارة البسيطة لا تفتن الذهب بل لا بد أن يذوب كي تنفصل عنه الشوائب، ومن فوائد وثمار الابتلاء أن يخرج من

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٣٩-١٤١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٤.

(٣) «زاد المعاد»: (٣/ ٢٢٢).

الصف الإسلامي - غير مأسوف عليه - كل من يتاجر بالدين، وما صار في أُحُد من رجوع المنافقين مثال مناسب لهذا المقام.

«إن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة؛ فإنهم لو انتصروا دائمًا دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره. ولو انتُصِر عليهم دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة . . . ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب؛ فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهرًا من ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبَّب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق»[١].

قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[٥].

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢١٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٣.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ١١.

(٥) سورة محمد: الآية ٣١.

ولما نزل بالمسلمين الكرب العظيم والبلاء الشديد في غزوة الأحزاب وتميز المنافقون والمؤمنون الصادقون قال تعالى عن ذلك: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[١].

وهؤلاء النفعيون الذين لا بد للمجتمع الإسلامي من التخلص منهم يعبدون الله على حرف واحد وهو الرخاء فقط، وليس كالابتلاء والمحنة شيء أقوى وأشد عليهم، فهم عندئذٍ ينكشفون ويظهر عوارهم في العراء.

١٥- فوائد خفية لا نعلمها:

ومرجعها إلى علم الله وحكمته، وهي متفاوتة بحسب الأشخاص والأحوال، وليس كل ما تكرهه النفس شراً، إنما قد يكون فيه الخير من حيث لا يدري كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢]، وكما قال: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٩.

منتديات الفلوجة الإسلامية

الفهرس

الموضوع	ص
◻ **المقدمة**	٣
◻ **أنواع الابتلاء**	٧
١- التخويف	٨
٢- السجن	١٠
٣- التعذيب	١١
٤- النفي والتشريد	١٤
٥- القتل	١٥
٦- التضييق في الرزق	١٦
٧- فتنة الأهل والولد	١٧
٨- الابتلاء بالمال	١٩
٩- الابتلاء بالسراء	٢١
١٠- التشويه الإعلامي	٢٣
١١- الحرب النفسية	٢٥
١٢- تسلط أهل الباطل وتمكنهم	٢٦
١٣- الإغـــراء	٢٧
١٤- إعراض الناس وقلة النصير وخذلان أهل الحق	٢٨
١٥- الافتراق والاختلاف	٢٩
١٦- الميل إلى الدنيا وشغف القلب بالمعاصي	٣٠
١٧- الفتور والخور والكسل	٣١
١٨- فتن آخر الزمان	٣١

- **عوامل الثبات** ٣٥
- **(أ) تمهيد** ٣٥
- **(ب) عوامل تربوية** ٣٥
- ١- الصبـــر ٣٦
- ٢- التقـوى ٤٨
- ٣- تذكر فوائد الابتلاء ٥٧
- ٤- الابتلاء سنة ماضية ٥٧
- ٥- الابتلاء قدر الله لخيار هذه الأمة ٦١
- ٦- قد يكون البلاء عقوبة على ذنب ٦٣
- ٧- تذكر آثار النكوص ٦٥
- ٨- تربية روح العزة والأنفة ٦٧
- ٩- تربية روح الشجاعة والجرأة ٦٩
- ١٠- تربية الأهل على المشاركة في المعاناة ٧٠
- ١١- إدراك أن كيد المبطلين ضعيف وأن العاقبة للمؤمنين ٧٢
- ١٢- الدعـــاء ٧٤
- ١٣- هوان المصيبة في ذات الله ٧٦
- ١٤- مصاحبة خيار الناس ٧٧
- ١٥- العمل للدين ٧٩
- **(جـ) عوامل نفسية** ٨٠
- ١- استعداد النفس لمواجهة الابتلاء والصبر عليه ٨٠
- ٢- النفسية المتزنة ٨٠
- ٣- مقدار الثقة بالمبدأ والاقتناع به ٨١
- **(د) عوامل اجتماعية واقتصادية** ٨١
- ١- توثيق العلاقات الاجتماعية مع الأرحام والأقارب ٨١
- ٢- اتخاذ الأسباب الشرعية في تأمين الرزق ٨١

(هـ) عوامل جبلية ٨٢
(و) عوامل معرفية ٨٢
١- الاطلاع والعلم بهذا الباب العظيم ٨٢
٢- وضوح الأهداف الدعوية وتمييز المرحلة ٨٣
٣- معرفة سنة الصراع بين الحق والباطل ٨٣
٤- معرفة فقه الابتلاء وأحكامه ٨٣
❑ لماذا لا نثبت؟ ٩٧
١- غياب عوامل الثبات ٩٧
٢- الضعف الجبلي ٩٧
٣- الجهل بوسائل الأعداء ٩٧
٤- عدم ضبط اللسان ٩٨
٥- الأنانية ٩٩
٦- ضعف القناعة بالغاية والهدف ٩٩
٧- الشعور بأن الثبات والإصرار لا يقدم للدعوة شيئاً ١٠٠
٨- الظن بأن تقديم الخدمات للخصم يخفف ما هو فيه من البلاء ١٠٢
٩- استعداد القلب لقبول الفتنة ١٠٢
١٠- الإصغاء لأراجيف المنافقين ١٠٣
١١- استبطاء الفرج ١٠٤
❑ ثمار الابتلاء ١٠٥
١- معرفة عز الربوبية وقهرها، وذل العبودية وكسرها ١٠٥
٢- تجريد الإخلاص لله تعالى ١٠٦
٣- الإنابة والرجوع إلى الله وتصحيح المسار ١٠٧
٤- محو الذنوب ورفع الدرجات وتمحيص القلوب ١٠٨
٥- معرفة قدر نعمة العافية والتوجه لشكرها ١١٠
٦- تذكر أحوال المبتلين من المسلمين والدعاء لهم ومساعدتهم ١١٠

٧- صلابة عود المؤمن وتقوية الدعوة ١١٠
٨- تعظيم المبادئ ١١١
٩- التأثير في الناس وزيادة إقبالهم ١١٢
١٠- تمحيص القلوب ١١٢
١١- تقويم النفس ومراجعتها ١١٣
١٢- زيادة الإيمان والانتصار على الهوى والشيطان ١١٣
١٣- إحباط كيد الكافرين وإهلاكهم ١١٣
١٤- تميز الصف الإسلامي ١١٤
١٥- فوائد خفية لا نعلمها ١١٦
❑ **الفهرس** ١١٧

منتديات الفلوجة الإسلامية

هذا الكتاب

إذا كان الإنسان لا يتمنى أن يقع به البلاء – وهكذا ينبغي أن يكون؛ كما قال ﷺ : (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا) – إذا كان المرء بهذه الحال إلا أنه ينبغي عليه أيضًا أن يدرك أن الابتلاء سنة ماضية على حملة الدعوات منذ فجر التاريخ، وأن طريق النصر وحسن العاقبة يمر بالابتلاء والمحن والشدائد: ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتَنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾.

وما دام الإنسان لا يدري متى ينزل به البلاء فعليه أن يكون دائمًا على أهبة الاستعداد لنزوله، وأن يستعين على ذلك بعدة أمور؛ من أهمها – بعد دوام الاستعانة بالله والتوكل عليه – دراسة هذا الموضوع لمعرفة: ***أنواع الابتلاء، وعوامل الثبات تجاهه، وثمار الابتلاء ونتائجه.***

من أجل ذلك جاء هذا الكتاب محاولة لتحصيل هذا المطلوب، ومساهمة في تحقيق الثبات المرغوب. نسأل الله تعالى أن يرزقنا العافية في الدنيا والآخرة، وأن يمنحنا الثبات إزاء الابتلاء، وأن يسدد خطانا في السعي لنيل مرضاته. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الناشر

128542 SR.10.00

مطبعة دار طيبة - الرياض - ت: ٤٢٨٣٨٤٠

ردمك: ٣-٠٠-٨٩١-٩٩٦٠